روايات مصرية للجيب

الإنسان الآلى القاتل ٢

سلسلة نوفا
للخيال العلمى

رءوف وصفى

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـدمة

الكوْن بحر أبدى .. لا نهائى .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم والكواكب .. بعضها له سرعة الشهب .. والأخرى تتحرّك بجلال وخلود ..
وحتى نتمكّن من الدخول إلى هذا العالم العلوىّ غير المنظور ، يجب أن نفتح عقولنا ، حتى تتسع لكل ما لم نكن نصدّقه من قبل ..
أعدادها هائلة ، مجموعات خيالية ، ومتنوّعة من الأجرام السماوية .. اتساع لا حدود له للدوّامة الكونيّة ..
يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا فى حياتنا الأرضية ..
علينا أن نلقى بثوانينا ، سنواتنا وحتى بأعمارنا كلها ، كوحدات لقياس السرعة والزمن ..
يجب أن نفكر بدلالة خمس عشرة ألف مليون عام ، وهو عمر الكون ..
نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق للكون ..
علينا أن نسمح لأفكارنا أن تتعلق بشعاع الشمس الباهر ..
أو بضوء نجم متألق .. يبعد عنا بملايين الملايين من الكيلومترات ..
على أفكارنا أن تمرُق بسرعة الضوء الهائلة ..
عليها أن تبحر .. وتسافر .. وتنطلق .. لتصل إلى المدى الذى لم تبلغه العين البشرية من قبل ..
فإذا سمحنا لعقولنا .. لخيالنا .. أن ينطلق بلا حدود ، فإننا عندئذ نبدأ فى تصوُّر لجزء من المشهد المجسم الرائع ، الذى نسمّيه الكوْن ..
فمهما ترنّمنا بكلمات تعزف على قيثارة الغموض ..
أو دخلنا فى تفسيرات للمجهول .. تتعالى هائمة بين السحب ..
كل هذا يتبدّد تحت ضوء الإيمان المنبثق من عظمة وروْعة الكوْن ..
ويخضع العقل الإنسانى للقُدرة الإلهية .. كلما تطلع إلى السماء ..
ويستسلم تمامًا فى خشوع وتعبد ، لذلك النظام الرائع ، والتنسيق الإلهى الخالد .. لكل ذرّة فى الكوْن ..
وأيضًا للأسرار التى تهبط إلينا فى توُدَة ..
وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) ..

رءوف وصفى

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

الإنسان الآلى القاتل

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ـ ١ ـ

كان الدكتور (مراد فهمى) يعانى كابوسًا ..

صور مشتتة مُرعبة ، وأصوات مختلطة مفزعة ..

حفرة وتراب ينهال ..

عويل ، ونواح ، وأيد تمتد ، وتمتمات بلا معنى ..

مسيرة طويلة ، ووجوه مخيفة واجمة ، ودموع وشهقات

طائر ينعق فى الفضاء ..

وكفن أسود ..

فجأة . أتت الدقّات العنيفة ..

كانت واضحة .. ملحة .. متصلة .. عنيدة ..

فتح الدكتور (مراد) جفنيه ببطء ، وما زالت بقية من نوم متشبثة بأهدابه ..

الدقّات لا تزال تتردَّد ، تثقب الصمت ..

تُرى .. هل هى آتية من القبر الذى كان يحلُم به توًّا ؟

نهض ، ومضى فى تثاقل إلى الباب ، وفتحه رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، فانسل من شقه عمود من ضوء القمر ، وجد فى الغرفة ملاذًا ، فانهد فى مخروط شعاعى داخلها ..

فرك الدكتور (مراد) عينيه ، ينفض النوم عنهما ، لكى يرى جيِّدًا ذلك الشبح الذى يقف أمامه فى مدخلِ الباب ، كأنه جثة حيَّة ، فما زالت

صورة الكفن الأسود فى مخيّلته ..

سمع صوتًا مبحوحًا يتمتم :

ـ الدكتور (مراد فهمى) ، فيما أعتقد ؟

ردَّ هامسًا بصوت لا يكاد يُسمع :

ـ أجل .. ماذا تريد ؟

ابتسم الرجل الطويل الذى يرتدى المعطف الأسود ، المحكم من عند العُنق ، ودفع بقدمه اليمنى بين ضلفتى الباب نصف المفتوح ، وقال بصوت حاول أن يكون وديًّا :

ـ جئت لأرى (فهد) ..

تلعثم الدكتور (مراد) ، وقال فى حدَّة :

ـ (فهد) ؟.. لا بد أن هناك خطأ مَّا ..

وأردف بعد لحظات قائلًا :

ـ ليس فى هذه الفيلَّا شخص بهذا الاسم .. إنى ..

قاطعه الرجل الآخر .. فى عصبيَّة :

ـ كُفَّ عن المراوغة ..

دسَّ يده فى جيب معطفه ، وأخرج مسدَّسًا ضخمًا هدَّد به الدكتور (مراد) ، وقال فى صبر :

ـ هَلُمَّ بنا لنرى (فهد) ..

قال الدكتور (مراد) فى حدَّة :

ـ من أنت ؟ . وماذا تعنى بتهديدى ؟

لم يهتز المسدَّس ، والرجل يدفعه فى معدة الدكتور (مراد) ، حتى

أصبحت ماسورته البادرة تلامس جلده العارى .

قال الرجل الغامض فى إصرار بالغ :

ــ لحذنى إلى (فهد) فورًا ..

ثم أردف مهدّدًا :

ــ إن أصابعى عصبيّة ، وكما تعلم أن أحدها فوق الزّناد .. وبالمناسبة هذا المسدّس به كاتم للصوت ..

قال الدكتور (مراد) وهو يلهث من الانفعال :

ــ لن تجرؤ على هذا .. كيف .. ؟

قاطعه الرجل الطويل بغضب :

ــ لا أريد مناقشة ... نفّذ أوامرى دون تباطؤ .. هيًا ..

هزّ الدكتور (مراد) كتفيه فى يأس ، وأخذ يقطع الدهليز فى بطء ، يتبعه الرجل الآخر والمسدس فى يده ..

توقف الدكتور (مراد) أخيرًا أمام باب حديدى ، وانحنى وأدخل مفتاحًا فى القفل ..

وفتح الباب ، وضغط على زرٍّ أفاض النور فى الغرفة ..

ألَمَّ الرجل الغريب بما فى الغرفة بنظرة واحدة ..

كان ورق الجدران يحمل رسومًا للأطفال ، وفى ركن الحجرة سبورة صغيرة وكُومة من اللعب ، وبضعة كتب ملوّنة .. أما فى الجانب الآخر فبعض خرائط طبية ورسوم بيانية ..

كانت قطعة الأثاث الوحيدة سريرًا طويلًا من الحديد ..

كل هذا بدا واضحًا للرجل الغامض من نظرة واحدة . ثم تجاهلت عيناه الصورة الخلفية ..

وتركزت على الكائن المعدنى العملاق الجالس على الأرض .. وسط بعض اللعب ..

التفت إليه الدكتور (مراد) ، وتساءل فى حَيْرة :

ــ إننى لا أفهم .. كيف عرفت ؟

لم يردّ عليه الرجل الغامض ، بل ابتسم فى غموض ..

وقال بعد بُرهة :

ــ لِم كل هذا الغموض ؟ .

تنهّد الدكتور (مراد) ، وقال وكأنه يحدّث نفسه :

ــ إن العالم ليس مستعدًا بعد لقبول مثل هذا الاختراع المتطوّر .

صمت للحظات ثم أكمل :

ــ ثم إننى ما زلت أختبر مدى قُدرته على استيعاب المعلومات ..

قال الرجل الغامض فى دهشة :

ــ استيعاب المعلومات ! .

ــ إن عقله الصناعى عبارة عن كمبيوتر حديث . ملحق به جهاز دقيق أشبه ما يكون بلوحة الهاتف الضخمة تعمل إلكترونيًا ، وبداخله آلاف المجسّات والرقاقات الإلكترونية البيولوجية ، والأسلاك التى تتصل بكل حواس الإنسان الآلى .. إنه الذكاء الصناعى ..

لأول مرّة تطلع الإنسان الآلى إلى الدكتور (مراد) ، بهذا الوجه

الجامد ، والعينين الصناعيتين ، بلا تعبير على الإطلاق .. ويصدر الصوت الأجش المعدنى :

ــ أبى ..

يباغت الرجل الغامض ، ويهمس فى فزع :

ــ ياإلهى .. إنه يتكلم ..

ويستمر الإنسان الآلى فى الحديث :

ــ من هذا الرجل ؟ .

يتردَّد الدكتور (مراد) ، ولكن الرجل الآخر يُسارع بالإجابة بصوت حاول قدر استطاعته ــ وبرغم اضطرابه ــ أن يبدو طبيعيًا :

ــ اسمى (سليم) ، وجئت خصّيصًا لأراك يا (فهد) ..

بقى الإنسان الآلى .. جامدًا ..

ومرَّت لحظات قبل أن يتكلم :

ــ أشكرك .. إنك أول من يأتى ليرانى .. لقد سمعت كثيرًا عن الناس ، ولكن لم أشاهد سوى أبى و (فاتن) ..

صمت لعدة لحظات ، ثم أردف قائلًا :

ــ أتريد أن تلعب معى ؟ .

قال الرجل الغامض بلهفة :

ــ طبعًا يا (فهد) ..

وجلس (سليم) يلعب مع (فهد) .. الإنسان الآلى العملاق ..

ــ ٢ ــ

تهالك الدكتور (مراد) فوق مقعد بجانب السرير الحديدى ..

ها هو ذا الغريب قد وقف على السرّ الذى أخفاه الدكتور (مراد) عن العالم كله خمس سنوات كاملة ..

نهض (سليم) واتجه إلى جانب السرير الحديدى ، حيث وجد ملفًا أزرق اللون كتب عليه : [مذكرات عن (فهد) .. الإنسان الآلى] ..

تناوله وأخذ فى القراءة لعدة دقائق ، ثم أمر الدكتور (مراد) بالذهاب إلى حجرته ، وأغلق عليه الباب بالمفتاح ..

ذهب (سليم) إلى حجرة (فاتن) سكرتيرة الدكتور (مراد) ، والتى كانت السبب فى دخوله الفيلّا ، ومعرفة السرّ عن الإنسان الآلى ..

ومرَّت ثلاثة أيام ..

كان الطعام يأتى للدكتور (مراد) داخل حجرته ، ولكن لا يسمح له بالخروج منها بالرغم من توسُّلاته إلا لفترات قصيرة ، وبعيدًا عن حجرة (فهد) ، وفى حراسة (سليم) ..

وفى حجرة (فاتن) يدور الحديث بين المتآمرين :

ــ هل تتصوَّرين أن يخترع الدكتور (مراد) إنسانًا آليًا بهذا التطوُّر ؟

وتزيح (فاتن) خصلة من شعرها الأسود الفاحم ، وتقول :

ـــ منذ سنوات والدكتور (مراد) يعد لهذا الاختراع ، عندما كان يعمل أستاذًا للإلكترونيّات بالجامعة ، وعندما أحيل إلى المعاش كرّس كل وقته لهذا الاختراع ومحاولة تطويره ..

رَانَ صمت ثقيل على الغرفة ..

كان (سليم) يجلس على حافة الفراش وعيناه مفتوحتان ، ولكنه لم يكن ينظر إلى شيء محدَّد .. نظره زائغ وعقله مشتَّت ..

أفاق من تأملاته على صوت (فاتن) :

ـــ أتدرى يا (سليم) أن الدكتور (مراد) يعلمه كما لو كان طفلًا صغيرًا ؟. إنه يظن أن العالم سيسىء استغلال اختراعه لغير صالح البشرية أو السلام ..

صمتت لبرهة ، ثم أردفت قائلة :

ـــ إنه يأمل فى يوم ما أن يستخدم الإنسان الآلى فى الأعمال الصناعية التى تشكل خطرًا على صحة البشر ، أو فى الرحلات الفضائية ، حيث لا يستطيع أن يتحمل ظروفها ..

كان (سليم) ينصت لها فى اهتمام بالغ ، وقال بعد أن انتهت :

ـــ قرأت كثيرًا عن (فهد) فى الملف الخاص به ، وعلمت أن عقله الصناعى يتعلم بسرعة كبيرة .. فهو يسمع ، ويسجل ، ثم ينفّذ بكل دِقّة كل ما يصدر إليه من أوامر ..

ابتسم فى غموض ، ثم أكمل قائلًا :

ـــ ولهذا فقد أعطيته بعض الدروس الخصوصية ، و..

قاطعته (فاتن) فى دهشة :

ـــ دروس خصوصية !؟

ـــ أجل يا (فاتن) .. دروس لا يرضى عنها الدكتور (مراد) مطلقًا ..

تساءلت فى حذر :

ـــ أى نوع من الدروس ؟

تأمّلها (سليم) ثم قال :

ـــ عن الشرّ والشيطان ، وعن القتل والحروب ، وعن العالم الخارجى بأحداثه الحقيقية ، وليس العالم المثالى الذى يصوّره له الدكتور (مراد) ..

نظرت إليه (فاتن) بحدّة ، وقالت فى عصبيّة بالغة :

ـــ إن ما فعلته تمامًا ، كأنك أعطيت مسدّسًا لطفل ، ثم علمته كيف يقتل ..

قفز (سليم) من مكانه ، وهو يردّد :

ـــ يا لها من فكرة ! يا لها من فكرة !.

انطلق من أمامها متجهًا إلى حجرة (فهد) ، وهى تقف مذهولة مما قد يحدث ..

ـــ ٣ ـــ

كان الإنسان الآلى يكتب الدرس على السبُّورة :

إسمى (فهد) .. الدكتور (مراد) ليس أبى .. أنا الإنسان الآلى الوحيد .. الدكتور (مراد) سجننى خمس سنوات .. إنه طاغية .. إنى أكرهه .. أريد أن أقتله ..القتل الوسيلة الوحيدة للتخلُّص منه ..

جلس (سليم) بجانب الفراش الحديدى ، وهو يشعر بفرحة وحشية

بسبب نجاح دروسه الخصوصية ..

قال لـ (فهد) مشجعًا :

ــ اكتب الدرس مرَّة أخرى يا (فهد) ..

وعاد الإنسان الآلى يكتب نفس الكلمات بإصرار وتأكيد دون خطأ .. كانت الفكرة الجهنمية قد تهيَّأت فى ذهن (سليم) فى بطء شديد ..

جاءته كشىء حىّ تسترق الخُطا ، كحيوان مفترس جائع ، يقرُب بطنه من الأرض ، ويختفى خلف تجمعات الأعشاب ..

أتت إليه ولم يستطع التخلُّص منها ، بل ربما لم يشأ هذا ..

اقترب من (فهد) .. وقال فى همس :

ــ فهد ..أتعرف حجرة الدكتور (مراد) ؟

استدار الإنسان الآلى فى بطء ، وقال بذلك الصوت المعدنى الأجش :

ــ أجل يا (سليم) ..

ردَّ (سليم) بسرعة وبصوت آمر :

ــ اذهب إليه يا (فهد) ، ونفِّذ ما اتفقنا عليه ، حتى تنال حرِّيتك ..

لم يتردَّد الإنسان الآلى ..

بل تحرَّك ناحية الباب بخطوات متثاقلة فى اتجاه حجرة الدكتور (مراد) .. سبقه (سليم) إلى الباب ، وفتحه بالمفتاح ، وترك (فهد) يدلف إلى داخل الغرفة ..

ولم تمرّ إلا دقيقة ..

عندما وصل إلى أذنى (سليم) ــ وقد أرهفهما القلق ــ صيحات متقطعة ، تبعها ارتطام جسد بالأرض ، ثم كان السُكون ..

سمع صوت خُطوات (فهد) الرتيبة الآلية تقترب من الباب ، ثم ظهر من فتحته ، واقترب من (سليم) .. وقال بصوته المعدنى الذى يخلو من أى انفعال :

ــ (سليم) .. لقد قتلت الدكتور (مراد) ..

ــ ٤ ــ

وقفت (فاتن) أمام المرآة طويلًا ، تحاول أن تركز نظراتها على قسمات وجهها ، فتخونها عيناها ، وتحاول أن تستعرض ما حدث فلا يُطاوِعها فكرها ..

تحاول أن تعطى صبغة لحزن قلبها ، فيعصف بها الحزن ..

لم يدَّخر الدكتور (مراد) وسعًا لإسعادها .. مرتب مُجْزٍ لتكتب له مذكراته عن الإنسان الآلى ، بل لقد وجد لها غرفة فى فيلّته ، عندما علم بأنها وحيدة يتيمة .. فكيف ردَّت له الجميل ؟

أن هيَّأت له من يقتله ، أى جريمة بشعة ارتكبت !.

كان (سليم) ينظر من نافذة الغرفة إلى حيث تمتد الحديقة الصغيرة للفيلّا ، فى هذه البقعة المنعزلة من ضاحية المعادى ، وقال :

ــ مالك صامتة ؟

أفاقت من أفكارها ، ثم أردفت :

ــ ثرثرنا بما فيه الكفاية ..

ــ ولكننا لم نستوْف الحديث عن أمنياتنا ..

سألته فى دهشة :

ــ أى أمنيات ؟

تحدّث (سليم) بحماس :

ــ هل مازلت لا تدركين يا (فاتن) ؟ .. إن (فهد) ثروة لا تقدّر بثمن ، نستطيع أن ندفعه لارتكاب جرائم مختلفة دون أن نخشى مطاردة الشرطة .. إنه المجرم المثالى ، لا يترك وراءه أى أثر .. ينفّذ كل ما نأمره به .. يحقق الجريمة الكاملة .. سنصبح أثرياء .. ألا تفهمين ؟.

أجابت فى استسلام :

ــ أجل يا (سليم) .. أفهم ..

ــ إننى أفكر فى نقل (فهد) إلى منزلى بالمقطم ، حتى يحين الوقت لتنفيذ خططى .. سأذهب الآن لاستئجار سيارة ، وأعود حوالى الساعة العاشرة مساء ..

صمت للحظات ، ثم قال :

ــ هل يكفى هذا الوقت لإعداد الحقائب ؟.

أجابت فى تلعثم :

ــ هل سأبقى مع (فهد) بمفردى ؟.

ــ ألَمْ تتعوّدى الإقامة معه خمس سنوات كاملة .. دعْكِ من مخاوفك ، إننى سرعان ما أعود ..

تركها (سليم) لدقائق ، ثم عاد ومعه (فهد) ..

قال له بمجرد دخولهما حجرة (فاتن) :

كما قلت لك يا (فهد) .. سأتركك مع (فاتن) لمدة قصيرة ، ثم أعود لننتقل من هنا .. ألا تريد أن ترى العالم الخارجى ؟.

أجاب (فهد) فى لهفة :

ــ أجل يا (سليم) ..

ذهب (سليم) إلى الخارج ..

وبقيت (فاتن) تواجه الإنسان الآلى .. القاتل ..

اقشعر بدنها فجأة بمجرد أن أصبحت وحيدة ، فهى لا تدرى كيف جمعت بقايا شجاعتها ؛ لتواجه بمفردها مثل هذا الوحش الآلى ، دون أن تخشى العاقبة .. ربما يعود هذا لتعوُّدها رؤيته لخمس سنوات فى أثناء كتابة مذكرات الدكتور (مراد) ..

وبمجرد أن تذكرت الدكتور (مـراد) ، ارتجفت شفتها السفلى ، وامتدت راحتها تمسح دمعة متوثّبة من عينيها إلى خدّها ، ثم سمعت :

ــ (فاتن) .. أريد أن تضعى الزيت فى مفاصلى ..

بوغتت ، ولكنها أجابت بصوت حاولت ألا يبدو مرتعدا :

ــ ألا تستطيع أن تنتظر حتى يأتى (سليم) ؟.

عاد الصوت المعدنى الغريب يلح :

ــ ولكنى أريدك أن تضعى لى الزيت ..

نهضت وأحضرت قليلا من زيت التشحيم ، واقتربت منه ثم أخذت تضع قطرات فى أماكن التزييت ، وهى تحاول ألا تلتقى بهذه النظرات الجامدة الرهيبة :

ــ فاتن .. أين سنذهب ؟.

فاجأها السؤال ، ثم أردفت :

ــ ألم يقل لك (سليم) .. لترَ العالم الخارجى ..

صمت لبرهة ، وأحسّت (فاتن) بالخوف الشديد ينتابها ، وكأنها تزداد اقترابا من مجهول ما ، وبدت مخاوفها كظلال تنتظر أن تحتك .. أن تتلامس .. أن تذوب فى الليل القريب :

ــ (فاتن) .. ما علاقتك بـ (سليم) ؟.

ردّت بصوت هامس :

ــ إنى أحبه ..

تمتم (فهد) :

ــ الحب !.

تساءلت بالرغم منها :

ــ أتعرف الحب يا (فهد) ؟.

جاءت الاجابة بطيئة غريبة ، بذلك الصوت المعدنى الأجش :

ــ أجل .. لقد قرأت عنه .. رجل .. وامرأة .. والحب ..

عاد الصمت الثقيل يبدو كستار غير مرئى :

ــ (فاتن) .. أتظنّين أننى سأجد من يحبنى ؟

انتابتها رغبة لا تقاوم .. أن تضحك .. أن تبكى .. أو أن تصرخ بأعلى صوتها .

فقد كان السؤال الغريب يثير كل هذه المشاعر مجتمعة ..

وكان عليها أن تجيب :

ــ ولم لا يا (فهد) ..

ــ تعلمين يا (فاتن) أننى أختلف .. فأنا إنسان آلى ..

وكان عليها أن تستمر فى الدور الذى تؤديه :

ــ إن المرأة لاتهتم بهذه الأمور ، فهى تحب الأقوى .

ــ حقًا ؟.

وعاد الإنسان الآلى يردّد لنفسه :

ــ المرأة .. تحب .. الأقوى ..

التفت إليها من بعيد :

ــ سأنتظر (سليم) عند عودته ..

أحسّت كأن عبئًا يثقل صدرها ، أخذ ينزاح رُوَيْدًا مع خطُوات الإنسان الآلى المبتعدة ..

ــ ٥ ــ

اندس المفتاح فى القفل الخارجى لباب الفيلّا ، ثم تلوّى ، محدثًا صوتًا خافتا .. وفتح الباب ، ودخل (سليم) ..

كانت (فاتن) منهمكة فى ترتيب الحقائب ، وقد أغلقت عليها الحجرة حتى يأتى (سليم) ..

فقد أصبح منظر (فهد) يصيبها دائمًا بالقُشَعْرِيرة ، كما أصبحت لا تستطيع الإجابة على أسئلته الغريبة ..

سمعت وقع أقدام تقترب ، ونظرت إلى ساعة معصمها ..

كانت العاشرة والربع ، فلا ريب أن القادم (سليم) .. انتظرت أن

يفتح الباب ، وكادت أن تناديه ، ولكن شيئًا ما جعلها لاتفعل ..
فتح الباب ، ووقف (فهد) فى فتحته ، ككائن من عالم آخر :
ــ فاتن ..
سألت بلهفة :
ــ أين (سليم) يا (فهد) ؟.
استمر الإنسان الآلى يقف دون حِرَاك .. وأخيرًا تكلم :
ــ المرأة تحب الأقوى .. أليس كذلك يا (فاتن) ؟.
فهمت ما حدث .. ولكنها لم تصدّق .. فصرخت :
ــ (فهد) .. أين (سليم) ؟.
مدَّ الإنسان الآلى يديه الضخمتين ، فإذا بهما مخضّبتين بالدماء ..
اقترب من (فاتن) أكثر :
ــ (فاتن) .. أنا أقوى من (سليم) .. لقد استطعت قتله .. أنا الأقوى ..
عيناها لا تريان شيئًا ..
مشاعرها متباينة .. الصور والأصوات تتداخل ..
الابتسامة مع الدمعة .. الضحكة مع الصرخة .. اليد الدافئة مع الجبين البارد ..
العالم كله يتهاوى من حولها ..
الظلام يسدل ستارًا قاتمًا على كل شيء أمامها ..
آخر ما تذكرته قبل أن تسقط مغشيًا عليها .. صوت (فهد) وهو يردّد :
ــ أحبك يا (فاتن) .. أحبك .. أحبك ..
وأغرب مافى الأمر أن الصوت بدا لها ..
آدميًا ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

المتألمون فى صمت

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الصمت ينشر أجنحته السوداء فى كل مكان .. فى كل ركن .. بعد رحيل رفيقة العمر منذ خمس سنوات ..

كان همسها ورنين كلماتها المتدفقة من شفتيها كشلال من الفيروز ينحدر على صخرة ..

يضيع فى جوف الكون الهادى فيموت الصمت .. والضجر ..

كانت الحياة فى تلك اللحظات كأنها متعة أبدية .. وطفولة لا تشيب .. إنه يتذكرها وهى تجلس أمامه تتكلم .. وتضحك .. يرتفع صوتها مثل زغردة النساء فى أعياد النصر ..

صوت فيه رنين .. وهدوء .. وصخب .. ونشوة .. وفيه سحر وأبعاد .. وحزن ..

كانت هذه لحظات السعادة الحقيقية .. يضيع فيها مخلوقان عن الوجود .. فيشفان .. حتى يصبحا روحًا واحدة .. لا تعرف الزمان والمكان والحدود ..

أخذ يبحث عن شىء يغرق فيه حزنه ..يقتل فى أغواره ما تبقّى من الأيام ..

اعتنق نظرية تقول بأن الصوت لايتلاشى فى الهواء .. بل يبقى .. ويمكن استرجاعه فى أى وقت ..

كان يأمل أن يتمكن فى المستقبل من استعادة صوت امرأته .. بدفئه ..وحنانه .. حتى يشعر بأن زوجته ما زالت بجانبه ..

إن الإنسان ينتهى .. عندما يعيش فى ذكرياته .. يموت عندما يعجز عن تحقيق الوجود الذى يجعله يستمر .. ويكون للأيام التى تأتى .. وليس للأعوام التى مضت .. كثيرًا ما كان يحدّث نفسه :

ما قيمة حياتى الآن .. إذا لم أستطع أن أخلّد لحظة سعيدة عشتها ؟.

وتترقرق فى عينيه الدموع ..

— ١ —

كان الكوخ من الداخل بلا طلاء .. مظلم بعض الشىء .. لم يكن به سوى بعض الآلات المبعثرة هنا وهناك .. ثم نافذة كبيرة مغلقة بجانبها منضدة خشبية عليها بعض الأسلاك الملونة .. والأدوات الدقيقة وبينها يرقد صندوق خشبى طوله حوالى نصف المتر .. يبدو كتابوت لطفل صغير ..

ومن السقف يتدلّى سلك فى نهايته مصباح كهربائى ..

أغلق الدكتور (فهمى شوكت) الباب من خلفه .. تحرّك فى الداخل حتى وصل إلى الصندوق .. فتح غطاءه ثم أخذ يعبث بما فى داخله من الأسلاك والأنابيب الصغيرة المختلفة الألوان والأحجام ..

التقط ورقة صغيرة موضوعة بجانبه .. وأخذ يقارن ماهو مدوَّن بها .. مع ما فى الصندوق من توصيلات .. وبقى منكبًا على عمله هذا مايقرب من الساعتين ..

لم يتحرك خلالها من مكانه .. إلا ليضىء المصباح الكهربائى ..

فجأة .. والدنيا تغرق فى الصمت ..

سمع وقع أقدام تقترب ..

أدار رأسه ناحية الباب .. الذى انفرج قليلًا .. ودخل منه (رمزى كامل) صديقه منذ أيام الدراسة الثانوية ..

أحس (رمزى) بما فى الكوخ من جوٍّ غريب .. هذا الصندوق الصغير المتلىء بالأسلاك والأنابيب الملونة !.. وكل هـذه الآلات والأدوات المختلفة الأحجام ..

المصباح الكهربائى الباهت الذى يلقى الضوء على كل هذه الأشياء .. ويعكس ظلالها العميقة على الجدران .. فيزيد من غرابة المكان ..

اقترب (رمزى) من الصندوق الصغير .. ونظر إلى داخلـه فى دهشة .

قال متسائلًا :

ــ ما هذا يا (فهمى) ؟

تمتم (فهمى) بصوت خافت :

ــ مجرد جهاز !.

استدار إليه (رمزى) :

ــ يبدو أنه معقد للغاية .. على الأقل لغير المتخصصين مثلى ..

أجاب (فهمى) .. كأنما ليبتر الحديث :

ــ أجل .. إنه معقد بعض الشىء ..

لم يستسلم (رمزى) لجفاء صديقه .. فقد عرف عنه غرابة الأطوار .. بعد وفاة زوجته ..

عاد (رمزى) يلح بالسؤال :

ــ لأول مرّة فى حياتى .. أشاهد مثل هذا الجهاز الغريب ..

تنهد (فهمى) .. ثم قال مستسلمًا :

ــ هذا الجهاز مجرّد تطبيق لفكرة خطرت لى ..

سأل (رمزى) فى لهفة :

ــ حقًا !.. وما هى هذه الفكرة ؟.

يفكر (فهمى) قليلًا .. ثم يرد ببطء .. منتقيًا كل كلمة :

ــ الفكرة بسيطة للغاية .. تتلخص فى أن الأذن البشرية لا يمكنها أن تلتقط كل الموجات الصوتية التى من حولنا .. ومن الناحية العملية .. إذا زادت الموجات الصوتية على ١٥٠٠٠ ذبذبة فى الثانية .. فلا يمكن لنا سماعها ..

قال (رمزى) كأنما ليحثه على الحديث :

ــ مفهوم يا (فهمى) .. مفهوم ..

أكمل (فهمى) حديثه .. كأنه لم يسمع ما قاله صديقه :

ــ هناك موجات صوتيه عالية جدًا .. تبلغ فى بعض الأحيان .. ملايين الذبذبات فى الثانية الواحدة .. تأتى إلينا من أعماق الكوْن .. على أبعاد خيالية لا يمكن للإنسان تصورها .. ملايين من الأصوات لا تستطيع آذاننا البشرية سماعها ..

توقف (فهمى) ليلتقط أنفاسه .. ثم أردف :

ــ نظريتى تقول إنّ فى العالم من حولنا .. أصواتًا لا تصل إلى آذاننا البشرية .. ولكنها يمكن أن تكوّن موسيقى غريبة .. لم نسمع أعذب منها من قبل .. وربما كانت من القوة بحيث تصيبنا بالجنون ..

ثم همس لنفسه :

ـ وفى المستقبل .. سألتقط أى صوت ما زال معلقًا فى الهواء من حولنا ..

عاد (رمزى) يتساءل .. والموضوع كله يثير إعجابه :

ـ ولكن كيف يعمل هذا الجهاز ؟.

اتجه (فهمى) إلى الصندوق الخشبى الصغير .. ونظر إليه بأمل ..

وقال فى همس :

ـ هذا الجهاز مصمم على أساس يمكّنه من التقاط أى ذبذبة يمكن للأذن البشرية التقاطها ..

أشار لـ (رمزى) أن يقترب أكثر من الجهاز ..

وأخذ يشرح له محتويات الصندوق الصغير :

ـ هـذا المؤشر الأحمر يبين الذبذبة الحقيقية .. وهـذه الأسلاك والتوصيلات الملوّنة .. تحوّل الذبذبة العالية أو المنخفضة .. إلى ذبذبة فى حدود ١٥٠٠٠ فى الثانية .. حتى يمكن لنا سماعها ..

قاطعه (رمزى) :

ـ كما يعمل المحوّل الكهربائى ..

قال (فهمى) فى شك :

ـ تقريبًا ..

سأل (رمزى) فى لهفة :

ـ متى ستجرب هذا الجهاز ؟.

يشرد (فهمى) من خلال النافذة لثوانٍ .. ثم يهمس :

ـ غدا صباحا ... سأحطّم جدار الصمت ..

ـ ٢ ـ

يأتى صباح اليوم التالى ..

يستيقظ (فهمى) مبكّرا .. ويرتدى ملابسه بسرعة ..

كانت اللهفة تبدو على وجهه .. عيناه تجوسان خلال الحديقة بصفة دائمة .. ويبدو واضحا من نظراته أن أملًا عزيزًا كان يراوده منذ فترة طويلة .. قد بدأ يتحقق ..

حمل الجهاز بين يديه فى حرص .. وخرج إلى الحديقة .. ثم وضعه على الحشائش بجانب أحد أشجار الكافور الضخمة .. وجلس بجانبه ليلتقط أنفاسه ..

أخذ يتأكد من التوصيلات بالجهاز .. والسماعتين .. والبطارية .. ومؤشر الذبذبة الأحمر ..

يجب أن يكون كل شىء على ما يرام .. قبل أن تبدأ التجربة المثيرة ..

أحس فجأة بالخوف يتسلل إلى أعماقه ..

ربما لأن الجهاز قد لا يعمل بعد كل هذا المجهود ..

أو مما قد يحدث لو عمل الجهاز .. ونجحت التجربة ..

كانت الساعة السادسة صباحًا ..

والسكون يغلّف الضاحية الهادئة .. لا يقطعه لبرهة سوى سيارة مارقة .. أو طائر عابر .. أو إنسان يسرع الخطا .. أو نسيم يحرّك فروع

الأشجار .. فتصدر ما يشبه الهمس ..

رأى عبر السور الذى يفصل فيلّته عن الفيلّا المجاورة .. خادمة جاره المسنة .. زينب .. تقوم بعمل ما .. لم يحاول أن يعرف ما هو .. لم يلق إليها أى التفات ..

استمر فى عمله .. لم يكن يتوقف إلا ليمسح بعض قطرات من العرق التى تتجمع على جبهته بين وقت وآخر ..

ارتعشت يده وهو يمدها ليحرّك الزر الثالث إلى اليسار .. ليعمل الجهاز ..

وضع السماعتين على أذنيه .. ونظر إلى مؤشر الذبذبة .. الذى كان يتحرّك على لوحة بها أرقام من ١٥٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠٠ وحدة ..

أرهف السمع .. يريد ألا تفوته أية همسة ..

أحس بشعور عجيب ..

كأنما ربطت أذناه إلى رأسه بسلك رفيع .. وأنها تترك جسمه لتصعد وترتفع بعيدًا ..

إلى عالم آخر غريب .. عالم مجهول .. لم يسمع به إنسان من قبل .. منذ بدء الخليقة ..

* * *

تحرك المؤشر فوق اللوحة ..

فجأة .. سمع فهمى صوت صرخة ..

ربما كانت صرخة ألم .. أو خوف .. إنه لا يستطيع أن يحدد صفتها تمامًا ..

فالصوت غير مألوف .. يبدو أنه لم يصدر عن إنسان .. أو حيوان ..

رفع السماعتين من فوق أذنيه .. بحركة عصبيّة ..

نظر حوله .. يبحث عن هذا الشىء الذى يصرخ بذلك الصوت الغريب ..

لم يجد أمامه سوى الخادمة العجوز .. الذى تأكد الآن .. أنها تقطف بعض الزهور من الحديقة المجاورة ..

وضع السماعتين مرّة أخرى فوق أذنيه .. بيدين ترتعدان ..

سمع الصرخة .. كانت غريبة .. حادّة .. قصيرة ..

ولكنها ليست من كائن حى ..

كانت الصرخة متقطعة .. تأتى قوية ثم تخمد بعد ثوانٍ ..

لا يدرى ما الذى جعله يربط بين وجود الخادمة التى تقطف الزهور .. وتلك الصرخات العجيبة ..

لاحظ (فهمى) أنه يسمع الصرخة فى نفس اللحظة التى تقوم فيها (زينب) .. بقطف الزهرة ..

أحس بقلبه ينبض بقوة فى صدره .. والعرق يزداد تصبُّبًا فوق جبينه ..

مسح العرق فى عصبيَة .. بيد ترتجف ..

نادى الخادمة بصوت مرتفع :

ــ زينب .. زينب ..

استدارت الخادمة العجوز فى دهشة .. لوجود (فهمى) فى هذا الوقت المبكِّر من الصباح ..

كانت تعرفه جيِّدًا .. فطالما طلب منها أن تقضى له بعض حاجياته من السوق القريب ..

لم ينتظر أن ترد عليه .. بل صاح بها والكلمات تتلاحق من فمه من فرط الإثارة :

ــ اقطفى زهرة أخرى .. بسرعة ..

انحنت الخادمة تنفِّذ الأمر .. وهى تعجب مما ألمَّ بالرجل ..

فى نفس اللحظة .. سمع الصرخة القصيرة .. الحادَّة .. العجيبة ..

خلع السماعتين .. وهرع إلى السور الذى يفصل الحديقتين ..

قال للخادمة فى حدَّة بالغة :

ــ كَفى .. كَفى .. إنهم يتألمون .. يصرخون !.

ــ ٣ ــ

جلس (فهمى) وحيدًا .. يفكِّر وتتوالى الأسئلة فى رأسه تكاد تمزقها ..

هل هو وهم ؟.

ولكن هل يتكرَّر هذا الوهم .. كلما قطفت زهرة من الحديقة ؟

وتذكر تلك الصرخة .. العجيبة .. بِمَ يصفها ؟

كانت حادَّة .. قصيرة .. خاطفة .. أكانت تنبئ عن إحساس بالرُّعب ..

أو الألم .. أو الدهشة ؟. أم هى خليط من كل هذه المشاعر ؟!.

إنه أمر عجيب .. عجيب حقًّا .. وهل يشعر النبات بالألم ؟

* * *

هرع إلى داخل الفيلَّا .. وأخذ يبحث عن فأس .. كان يعمل بها البستانى من قبل بالحديقة ..

مرَّت عشر دقائق قبل أن يجدها ..

عاد إلى الحديقة .. وأدار زر التشغيل .. وسمع الجهاز يعمل ..

أمسك بالفأس .. واقترب من شجرة الكافور الضخمة .. بقدر ما يسمح له السلك الطويل الممتد من الجهاز للسماعتين الملاصقتين لأذنيه ..

هَوَى بالفأس .. فوق جذع الشجرة .. بكل قوته ..

فجأة .. سمع صوتًا عجيبًا آخر .. لم يسمعه من قبل ..

كان صوت صرخة قوية .. ليست سريعة .. وحادَّة .. كالتى سمعها فى المرَّة السابقة .. بل هى أقرب إلى الشهقة .. بقيت ما يقرب من دقيقة ..

كانت مرتفعة .. واضحة .. ثم أخذت تخفت رُوَيْدًا .. حتى تلاشت .. نظر (فهمى) إلى أثر الضربة فى الشجرة ..

خلع السماعتين .. ثم أخذ الفأس من مكانه وألقى به بعيدًا .. وتحسس بيده مكان الجُرْح فى رقة .. ونظر إلى الشجرة كأنه يرجوها أن تسامحه .. لما سببه لها من ألمٍ ..

عاد إلى المنزل بخطُوات متثاقلة .. وجلس فى البهو يحاول أن يجمع شتات فكره ..

أجهد عقله لكى يتذكر كيف كانت صيحة الشجرة .. ولكنه لم يستطع .. كل ما تذكره أن الصرخة أصابته بخوف مفاجئ .. من شىء مجهول ..

ولا يدرى ما الذى أتى لذهنه المكدود .. بحقل مزروع بالقمح .. والسنابل الصفراء تملؤه ..

تنعكس عليها أشعة الشمس .. فتبدو كتماثيل دقيقة من الذهب الشاحب ..

ثم فجأة تأتى المناجل فى موسم الحصاد .. ملايين النباتات الرقيقة .. تتألم ..

أى صرخات يمكن أن تطلقها !!

إنه لا يتمنَّى أن يكون هناك .. ومعه جهازه .. ليسمع صرخاتهم المروِّعة ..

تبدو تجربته المثيرة الآن .. كحُلم مخيف .. كابوس رهيب ..

إنه لا يكاد يصدّق ما حدث ..

عاد السؤال يلح عليه .. أيمكن أن يتألم النبات .. وليس له جهاز عصبى ؟

أتاه الجواب المنطقى ..

إننا لا نعرف إلا القليل عن أجهزة النبات المعقدة .. فمثلًا عملية البناء الضوئى .. تلك العملية العجيبة .. التى يهب لنا فيها النبات الأكسوجين الذى يساعدنا على الحياة .. ويأخذ ثانى أكسيد الكربون الذى يلوّث بيئتنا .. ونبات (الديونيا) الذى يغطى كل ورقة منه ست شعيرات حساسة .. فإذا حطّت عليها حشرة .. ولامست الشعيرات فإن جانبى الورقة تنطبقان على بعضهما .. ومن ثم تقتنص الحشرة .. ويتم امتصاص المواد الغذائية اللازمة للنبات ..

كما أن هناك نوعًا آخر من النباتات يدعى (قانص الحشرات) .. وهو يشبه معدة صغيرة فى داخلها مادة سكرية لزجة .. تجذب الحشرات ..

وعندما تدخل إحدى الحشرات ، حيث يوجد ذلك السائل السكرى اللزج .. تقع فى الفخ فينطبق النبات .. وتجرى عمليات الامتصاص .. والهضم .. أليس هذا دليلًا على وجود جهاز حساس .. داخل النباتات !!؟

خرج إلى الحديقة .. وقدماه تقرعان الأرض فى ارتخاء رتيب .. يداه فى جيوبه لا يأبه لما حوله .. ففى ذهنه خضمّ من الأفكار ..

نظر إلى النباتات والزهور والأشجار .. إلى العالم الأخضر .. من حوله .. العالم الذى يتألم فى صمت .. نظر إلى السماء .. واستقبلته الشمس .. وفاضت على جبينه .. تقلصت أشعتها فى خيوط رفيعة متلاصقة .. وينسدل ستار من الغموض .. والحيرة .. والألم ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

الثقوب السوداء

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
٦ ش الوفاء سلطان بالعباسية - القاهرة - ت ٤٨٥٠٩٠٩

الثقوب السوداء ..

كان الدكتور (ماجد كامل) داخل سفينة الفضاء (ابن ماجد) .. تحتويه غرفها المعدنية .. يجلس أمام شاشة كبيرة مستديرة .. يرى ولا يرى الظلام الأبدى ..

كانت سفينة الفضاء تندفع صوب كوكب المريخ .. وكأنها إبرة فضيّة هائلة تشق طريقها فى نسيج سواد الفضاء الذى لانهاية له ..

لمسة ..ودبّت الحياة فى الشاشة الملونة المثبتة فى لوحة أمامه ..

برنامج تليفزيونى مذاع من محطة البث بمدينة الأقصر ..

كان المذيع شابًا أنيقًا مهتمًا بعمله :

ــ أذيع اليوم أن الدكتور (ماجد كامل) فى طريقه إلى كوكب المريخ .. للقيام ببعض التحريات عن الآثار الحضارية التى اكتشفت هناك ..

رفع الدكتور (ماجد) رأسه عن الشاشة المجسَّمة .. مدركًا أنه لم يكن بمفرده ، فقد دخلت المضيفة إلى قمرته ..ووقفت تدرس الراكب الوحيد الذى كان فيها ..

لم يكن شابًا ..ولكنه كان أنيقًا فى رداء الفضاء الرمادى .. يَنُمّ وجهه عن وسامة مصحوبة بوقار ..أما فمه فكان ينطق بالحساسية المرهفة وعيناه سوداوان يغلب عليهما الغموض ..

وبوجه عام كان الدكتور (ماجد) .. رجلًا يستطيع أن يسيطر على انفعالاته .. رجحت المضيفة أن يكون رجلًا وحيدًا ..تلك الوحدة التى

تفرضها عليه القيادة .. والمسئولية .. فى رحلات الفضاء الطويلة ..

عاد الدكتور (ماجد) ينظر الى الشاشة المجسَّمة :

ــ ونحن لا نعرف على وجه التأكيد مدى حضارة سكان المريخ .. فهى حضارة تبدو أنها قد انقرضت منذ آلاف السنين .. وعمومًا فإننا فى انتظار التقرير الذى سيقدمه الدكتور (ماجد كامل) إلى لجنة علماء الفضاء الدولية .. بمجرد عودته إلى الأرض ..

خاب ظنّ الدكتور (ماجد) ..

كلمات جوفاء لاتعنى شيئًا ..ولكنها كانت فى واقع الأمر شعارًا لإخفاء الحقيقة المروّعة عن الناس ..

لقد كان فى مهمَّة سرّية ..للتحقيق فى جريمة قتل غريبة فوق كوكب المريخ ..

* * *

ــ ٢ ــ

هبطت سفينة الفضاء (ابن ماجد) على منصَّة بجانب القاعدة الأرضية (السلام) ..

ومن قبة الدخول خرجت أنبوبة ضخمة صوب باب سفينة الفضاء .. والتصقت بها فى قوة .. ثم أضاءت إشارة خضراء أمام الدكتور (ماجد) ..

نهض للخروج إلى القاعدة الأرضية فوق سطح المريخ ..

كان الدكتور (سالم فوزى) ينتظره للترحيب به .. وشعر بالسُّرور

لمرأى الوجه المألوف لصديق قديم .. صافحه الدكتور (ماجد) قائلًا :

ــ إذن أنت ما تزال هنا ..

أجابه الدكتور (سالم) مبتسمًا :

ــ وأين يمكننى أن أذهب .. إن الفضاء الخارجى موطنى ..

كان الدكتور (سالم) قد جاوز منتصف العمر .. وقد خلت بِزّته الرسمية من أيّة إشارة مميّزة .. كان عالمًا فى الذَّرّة .. يشغل منصبًا مرموقًا فى القاعدة الأرضية (السلام) ..

قال وهو يسلّم الدكتور (ماجد) الجهاز الإلكترونى الصغير :

ــ إن الأشياء هنا أخطر بكثير مما أظنه قد قيل لك ..

وضع الدكتور (ماجد) الجهاز الإلكترونى فى حزامه .. وكان جهازًا مفيدًا .. تحفة تكنولوجية .. إذ يتضمن جهاز إرسال واستقبال بالصورة .. كما أنه يفتح جميع الأبواب فى القاعدة .. إلكترونيًا ..

قال الدكتور (ماجد) فى جدّية :

ــ تعلم يا دكتور (سالم) .. أننى لا أنصت للشائعات قَطُّ .. إنما تهمنى الحقائق ..

التفت إليه الدكتور (سالم) :

ــ لقد حدثت جريمة قتل .. وتحقيقنا لم يسفر عن أيّة نتيجة ..

وكان هذا ما ظنّه الدكتور (ماجد) تمامًا .. ولكن الوقت لم يكن يتسع ليتابع الموضوع ..

وفضل فى البداية أن يتفقد أجزاء القاعدة الأرضية (السلام) ..

كانت تبدو كخلية نحل .. فالفنيون فى مراكزه .. والشاشات المتباينة

الأحجام تظهر مناظر داخلية .. وخارجية لسطح المرفخ .. والحاجز الإلكترونى .. والحراسة .. وأجهزة توليد الأكسوجين التى تحافظ على الحياة داخل القاعدة .. وبطاريات مدافع الليزر ..

وكان جهاز الكمبيوتر الضوئى الهائل يعمل فى صمت .. وبسرعة هائلة .. يصدر التعليمات .. ويجيب على الاستفسارات .. ويحل المشاكل على الفور ..

إنه العقل الصناعى المفكر للقاعدة الأرضية ..

استدار الدكتور (ماجد) .. وهو ينظر إلى غرفة العمليات المغلقة .. صوَّب الجهاز الإلكترونى فنشّط الأبواب المعدنية السميكة التى تغلق المدخل ..

وما أن فتحت حتى تألقت عيناه بشوق لم يستطع أن يخفيه .. فقد عمل هنا مدة طويلة ..

لقد حدثت جريمة قتل غامضة ..

وكانت الدكتورة (نوال رأفت) رئيسة قسم الفلك .. هى الوحيدة التى يمكنها أن تخبره بحقيقة ما حدث ..

ــ ٢ ــ

أخذ يفكر وهو يسير نحو القسم الفلكى فى القاعدة الأرضية ..

كان يستعيد فى ذهنه ما يعرفه عنها .. لقد تزوجت مرّة وتوفى زوجها منذ خمس سنوات فى حادث انفجار سفينة فضاء بالقرب من كوكب الزهرة ..

كان من أمهر علماء الفلك فى القاعدة .. ولم تكن هى أقل كفاءة .. لهذا أخذت مكانه رئيسة لقسم الفلك ..

لعل أكثر ما كان يميّز الدكتورة (نوال) هو جمالها الأخاذ .. فلم تكن امرأة جميلة فقط بل كانت فاتنة .. لم تكن فتاة سطحية بل امرأة ذكية كاملة النضج ..

كان شعرها قصيرًا يعلُو كتفيها .. أشقر فى اللون الطبيعى العميق للقمح ..

وكانت العينان متباعدتين وخضراوين .. أما الفم فكان ينطق بالحساسية والعاطفة ..

* * *

نهضت من وراء مكتبها ورحبت بالصديق القديم ..

أدرك الدكتور (ماجد) أنه كان يحملق فى وجهها .. فاستدار فى حرج ينظر إلى أرجاء المرصد الفلكى وأجهزة التلسكوب المتعدّدة الأشكال ..

أشرق وجهه عندما رأى تلسكوبًا جبّارًا يعمل بالأشعة تحت الحمراء .. كان أكبر من أى جهاز رصد رآه فوق كوكب الأرض ..

كان يبدو كعين هائلة .. تتطلّع إلى السماء .. فى دهشة ..

اقترب من التلسكوب وأخذ يفحصه عن قُرب ..

كانت قاعدته ضخمة ذات لون ذهبى متألق .. أما عدسته فكانت فريدة فى شكلها ..

بادرته الدكتورة (نوال) وهى تبتسم فى ودّ :

ــ هل أعجبك التلسكوب ؟.

ــ لا شك أن فرص الرصد هنا أفضل .. حيث كان الغلاف الجوى فوق كوكب الأرض يعُوق الرؤية الواضحة ..

أومأت برأسها :

ــ الواقع أننا هنا فوق سطح المريخ .. نستطيع رصد الكواكب والنجوم بشكل أفضل .. حيث لا يوجد غلاف جوى .. كما أن الأشعة تحت الحمراء تمكننا من الرؤية الواضحة فى الظلام ..

صمتت لبرهة ثم أردفت :

ــ لقد استطعنا منذ فترة .. رؤية التفاصيل المثيرة لآثار انفجار السوبرنوفا .. فى سديم السرطان ، والذى يبعد عنا بحوالى سبعة آلاف سنة ضوئية ..

ابتسم الدكتور (ماجد) فى حرج .. وقال وهو يجلس فوق مقعد مريح :

ــ تعلمين يادكتورة (نوال) .. أننى غير متخصّص فى الفلك .. ومن ثم تبدو لى هذه المصطلحات الفنية .. غامضة ..

جلست بجانبه .. وأشارت إلى النافذة المتسعة حيث يبدو الفضاء اللانهائى :

ــ لا شك أنك تعلم أن النجم منذ ميلاده .. وهو يتكوّن فى معظمه من غاز الأيدروجين .. وتعمل قوى الجاذبية على الاحتفاظ بالكتلة مع بعضها ثم انكماشها .. ومع ذلك التقلص فإن مناطق النجم المركزية ترتفع حرارتها بسبب تصادم الذرّات الهاوية .. ثم تزيد هذه الطاقة الحرارية إلى درجة يبدأ معها أيدروجين المركز فى الالتحام ليتحوّل إلى هيليوم ..

قاطعها الدكتور (ماجد) .. على الرغم منه :

ــ تقصدين التفاعل النووى ..

اعتدلت الدكتورة (نوال) فى جلستها وقالت :

ــ تمامًا .. وبمرور ملايين السنين .. يُنتج مركز النجم طاقة تكفى لمنع المزيد من التقلص .. وهكذا يصل إلى حالة من الاستقرار يطلق عليها .. التتابع الرئيسى .. سألها الدكتور (ماجد) فى اهتمام :

ــ هل يستمر النجم فى مرحلة التتابع الرئيسى طويلًا ؟

بعد أن يستهلك النجم حوالى ١٠٪ من أيدروجينه الأصلى .. يتراكم رماد الهيليوم عند المركز .. فينكمش تحت ضغطه الذاتى .. وفى أثناء هذا فإن نوى ذراته تنضغط فى بعضها البعض .. وتنسحق إلكتروناته .. وتخرج عن مداراتها .. ويترتب على ذلك انطلاق طاقة جاذبية ترفع درجة حرارة

قلب النجم بشكل هائل .. فتتأجج المناطق الخارجية بشدة تحت تأثير الإشعاع المتزايد من الداخل .. فينتفخ النجم .. ثم تنخفض درجة حرارة طبقاته الخارجية نتيجة تمدُّدها .. ويبدو النجم أكبر حجمًا كما يميل لونه للأحمر .. ومن ثم يطلق عليه (العملاق الأحمر) ..

قطع حديثها دخول أحد مساعديها .. يعرض عليها التقرير الفلكى اليومى .. والذى يرسل دوريًا إلى مركز المتابعة .. فوق هضبة المقطم بالقاهرة ..

نهضت لتحضر مشروبًا غازيًا أمام الدكتور (ماجد) .. ثم عادت تكمل شرحها :

ــ بعد مرحلة العمالقة الحمر .. يفقد الهيليوم صفته كرماد خامل فى مركز النجم .. ويصبح وقودًا حيًا ويتحوّل إلى كربون وحديد .. ولا شك أن الحرارة اللازمة لحدوث هذه التحوُّلات تبلغ آلاف الملايين من الدرجات المئوية .. وينتهى الأمر بوجود عناصر ثقيلة فى مركز النجم مما يبطىء من التفاعلات النووية .. ويؤدى هذا إلى تقلصه تحت ضغط جاذبيته .. ويطلق عليه حينئذ (القزم الأبيض) ..

ردَّد الدكتور (ماجد) فى دهشة :

ــ القزم الأبيض !!.

ــ ثم يبدأ عملية تبريد طويلة .. ويصبح مجرَّد جسم أسود معلق فى الفضاء .. بلا حياة ..

تساءل الدكتور (ماجد) .. وقد أثاره الموضوع :

ــ هل هذا هو مصير كل نجوم السماء ؟.

ـــ هناك حجم معيَّن يطلق عليه (حدّ شاندراسيخار) ويبلغ ١,٤ قدر كتلة الشمس .. فإذا قلت عنه كتلة النجم .. تكون نهاية حياته فى شكل قزم أبيض .. أما إذا زادت عن هذا الحدّ .. يكون التطوُّر مختلفًا وأكثر غرابة .. فقد ينتهى كثقب أسود ..

قال الدكتور (ماجد) .. فى لهفة :

ـــ أجل .. أجل .. لقد سمعت عن الثقب الأسود .. وأنه من أغرب ظواهر الكون ..

الثقب الأسود هو مساحة فى الفضاء .. انهار فيها نجم ضخم فى نهاية حياته .. وهو يبقى هناك بكل كتلته المتكدسة .. برغم أنه قد تقلص وأصبح أدق من نقطة .. كما أن الثقب الأسود يحيط نفسه بمجالات جاذبية مروعة .. ومن ثم يكون قادرًا على التهام النجوم والكواكب من حوله ، وحتى التى تكبره بملايين المرّات ..

قاطعها الدكتور (ماجد) :

ـــ هل تأكد العلماء من وجود هذه الثقوب السوداء ؟.

إن الأبحاث الحديثة قد اكتشفت عددًا من الثقوب السوداء .. أحدها عند النجم الذى يطلق عليه (الدجاجة إكس ـــ ١) .. فقد لاحظوا صدور أشعة إكس بنبضات كثيفة من هذه المنطقة .. ثم تأكدوا أنها تصدر من المادة وهى تندفع فى شكل دوّامة .. داخل الثقب الأسود .. إلى مصير مجهول ..

ابتسم الدكتور (ماجد) وهو ينظر مرّة أخرى إلى التلسكوب الذهبى الجبار .. وتساءل فى حبّ استطلاع :

ـــ ولكنك لم تخبرينى عن (السوبرنوفا) ..

اعتدلت الدكتورة (نوال) فى مقعدها وقالت :

ـــ فى أثناء مرحلة العمالقة الحمر .. قد ينتج عن زيادة تقلص النجم زيادة هائلة فى الحرارة .. تبلغ حوالى سبعة آلاف مليون درجة مئوية .. وهنا ينعكس بناء العناصر من الخفيف إلى الثقيل .. ويتحوَّل الحديد والعناصر الأخرى مرّة ثانية إلى هيليوم .. وفى أثناء هذا .. تُمتص الطاقة بدلًا من إطلاقها .. ذلك أن النجم الذى تبلغ حرارته هذا الحدّ الهائل .. يجد نفسه مضطرًا إلى استعادة كل الطاقة خلال الدهور السابقة .. ويترتب على ذلك تفريغ مفاجىء وجبار .. يطلق عليه (السوبرنوفا) .. وينفجر النجم إلى أشلاء مبعثرة .. ويضىء الفضاء من حوله ..

سادت فترة من الصمت ..

ثم أطرق الدكتور (ماجد) .. ورفع رأسه .. يحدّق فى العينين الخضراوين الواسعتين .. وقال فى جدّية :

ـــ دكتورة (نوال) .. هل تعلمين لماذا أتيت إلى كوكب المريخ ؟.

قالت فى همس :

ـــ أجل ..

ـــ إذن .. هل يمكنك مساعدتى ؟.

قالت بثقة :

ـــ بالطبع .. فإننى أكثر الناس معرفة بالحادث .. فقد رأيت الجريمة الغريبة وهى تقع .. كما أننى أعرف القاتل ..

— ٣ —

اكتسى وجه الدكتورة (نوال) بالجمود .. والجدّية ..

كانت تسترخى فى مقعدها الوثير .. وتشرد بعينيها بعيدا ، وقالت :

— منذ حوالى شهر .. بتوقيت كوكب الأرض .. كنت ألقى محاضرة عن الثقوب السوداء وخطرها على السفر بين النجوم ..

قاطعها الدكتور (ماجد) :

— أرجو أن تلخصى ما قلته فى المحاضرة !.

— أوضحت أن الثقوب السوداء هى من أغرب الظواهر الكونيّة .. فالنجم الذى يزيد على (حد شاندراسيخار) .. قد يستمر فى التقلّص .. إلى حجم كُرة صغيرة .. ثم إلى نقطة ضئيلة لا تكاد تُرى .. ولكنه يحتفظ بكل كتلته .. ويبقى الثقب الأسود فى الفضاء يلتهم أى شىء مادى يقترب منه .. يسحقه فى جزء من الثانية .. حتى الضوء بسرعته الهائلة التى تبلغ ٣٠٠٠٠٠ كيلو متر فى الثانية الواحدة .. لا يستطيع الهروب من قبضته .. لهذا أطلق عليه الثقب الأسود ..

— أرجو .. أن تكملى ما حدث ..

— بعد إلقاء محاضرتى ثارت مناقشات بين الحاضرين حول الثقوب السوداء .. وكان من بين الواثقين من وجودها .. المهندس (أحمد شاكر) .. ومرّت الأيام كنا خلالها مشغولين بدراسة تلك الآثار التى تركها أهل المريخ .. أخذنا نفحص الآلات الغريبة والمعدات غير المألوفة والتى تنبئ عن حضارة عريقة .. انتهت لأسباب مجهولة ..

سألها الدكتور (ماجد) :

— هل يمكن أن تصفى لى إحدى هذه الآلات ؟.

— من أغرب هذه الآلات .. تلك التى اكتشفناها بالقرب من معبدهم الرئيسى المثلث الشكل .. كانت ما تزال تعمل منذ آلاف السنين بوقود مجهول ..

صمتت الدكتورة (نوال) .. وكأنما لتسترجع تفاصيل أحداث ذلك اليوم .. يوم الحادث :

— وفى يوم الحادث .. كنت أتناقش مع المهندس (أحمد شاكر) حول الثقوب السوداء .. ثم تطرّق بنا الحديث حول هذه الآلة الكبيرة الغامضة .. وكان من رأيه أننا يجب أن نضغط على أحد أزرارها ثم نرى ما الذى سيحدث .. ولكنى أجبته بأن علينا أن نقوم بدراستها أولا ..

توقفت قليلا .. ثم قال الدكتور (ماجد) ليشجعها على الحديث :

— ثم ماذا حدث ؟

استدرت لأنظر للجهة المقابلة .. ولم تمرّ دقيقة .. حتى سمعت صوت انفجار حادّ .. ثم صرخة مروّعة .. نظرت بسرعة إلى المهندس (أحمد شاكر) .. فإذا به ملقى على الأرض .. ويمسك بفخذه اليُسْرى ..

متألمًا .. حاول أن يتكلم وقد اتسعت عيناه رعبًا .. هرعت إليه ومزقت القميص من فوق كتفه .. ووجدت أن هناك جُرحًا يشبه الثقب النافذ .. وبعد عدة دقائق .. أسلم الروح .. ثم جاء الطبيب ..

سأل الدكتور (ماجد) فى لهفة :

ــ وماذا قال الطبيب ؟.

تمهلت قليلًا .. ورفعت خُصلة من شعرها الأشقر عن عينها اليمنى .. ثم قالت بصوت مُفْعَم بالحزن :

ــ احتار الطبيب فى تفسير ما حدث .. فقد أظهر التشريح بجهاز الرنين المغناطيسى النووى ، أن جسم القتيل ثقب فى خط ضيق .. جرى من كتفه الأيمن خلال إحدى رئتيه .. ومعدته .. وجزء من جهازه الهضمى ، ثم إلى عظام فخذه اليُسْرَى .. وكان هناك أيضًا ثقب فى الأرضية تحت الآلة الغريبة .. فى سمك القلم الرصاص .. ممتد لمسافة بعيدة فى كتلة كوكب المريخ ..

قاطعها الدكتور (ماجد) :

ــ هل يمكن أن يكون رصاصة ؟.

قالت الدكتورة (نوال) مؤكدة :

ــ أى رصاصة مهما بلغت قوتها .. لا يمكنها أن تحدث هذا الأثر ..

صمت الدكتور (ماجد) مفكرًا .. ثم همس :

ــ إذن ما تعليلك لنحادث ؟.

ترددت قليلًا .. قبل أن تجيب :

ــ لقد استطاع أهل المريخ بعلومهم الفلكية المتقدمة .. أن يقتنصوا

أحد الثقوب السوداء الدقيقة جدًا .. واحتفظوا به فى مجالات كهرومغناطيسية مروِّعة .. داخل الآلة الغريبة .. فالثقب الأسود مصدر هائل للطاقة بسبب الموجات التجاذبية التى تنشأ عن المادة المندفعة داخله ..

تساءل الدكتور (ماجد) :

ــ ولكن لماذا احتفظ سكان المريخ بهذه الثقوب السوداء الدقيقة جدًا ؟.

أجابت فى ثقة :

ــ ليستخدموها كسلاح رهيب .. أو كمصدر لا ينضب من الطاقة ..

قال بسرعة :

ــ أرجو أن تكملى ما حدث ..

لاشك أن المهندس (أحمد شاكر) قد ضغط على أزرار الآلة الغريبة .. فانطلق الثقب الأسود الدقيق جدًا ليصيبه .. ربما كان فى حجم إلكترون .. ولكنه كان كافيًا لقتله .. بسبب تأثيرات المدّ والجزر التجاذبى التى أحدثها داخل جسمه ..

صمتت للحظات ثم أردفت :

ــ وأظن أن الثقب الأسود .. هو الذى كان يمد الآلة الغريبة بتلك الطاقة الهائلة التى جعلتها تعمل لآلاف السنين .. لأنها توقفت بمجرد انطلاقه من داخلها ..

بقى الدكتور (ماجد) لدقائق مذهولًا .. مشدوهًا .. إزاء كل الأبعاد

التى تكشف عنها هذه الأفكار الغريبة ..

تمتم فى صوت ضعيف :

ــ أين الثقب الأسود الآن ؟.

عادت الدكتورة (نوال) تنظر إلى الفضاء اللانهائى .. حيث تتناثر المجرّات والنجوم .. فى جلال .. ورَوْعة :

ــ أعتقد أن الثقب الأسود فى مكان ما بالفضاء .. بين كوكبى الأرض والمريخ .. وبعد نحو قرن من الزمان .. سيستمر الثقب الأسود فى التهام المواد .. مذنبات .. شهب .. كويكبات .. كواكب .. نجوم .. وبعدها سيصبح أول ثقب أسود يمكن رؤيته ودراسته ..

فكّرت قليلا ، ثم قالت :

ــ أو لعله الآن فى باطن كوكب المريخ يأخذ فى التهام مادته ببطء شديد .. وربما يأتى الوقت الذى يلتهم فيه الكوكب كله .. من يدرى ؟.

قال الدكتور (ماجد) بإيمان :

ــ أجل .. الله وحده هو الذى يعلم ..

* * *

وفكّر فى تلك المهمة الشاقة التى ستصادفه فوق كوكب الأرض .. عندما يخبر المسئولين عما حدث ..

يجب أن يخبرهم أولًا ما هو الثقب الأسود .. وكيف يتكوّن .. ثم كيف يستخدم كمصدر للوقود .. وكسلاح ..

وكيف أن شيئًا أصغر من الذَّرّة يمكن أن يقتل ..

ولكن الشىء الذى يمكن أن يخفف من متاعبه .. أن السلام سيسود القاعدة الأرضية فوق المريخ .. بعد اكتشاف سرّ هذه الآلة الغريبة ..

وأنه لن يكون هناك المزيد من الحوادث ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

أيها الموت .. ترفق ..

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

أيها الموت .. ترفق ..

فى الداخل .. كان الصمت مطبقًا .. مطلقًا ..

من أعماق ظُلمتها الخاصة .. سمعت عَبْرَ موجات غير مرئية .. صوت الدكتورة (نجوى) .. وهى تتحدَّث بنبرات خافتة تصل إليها كذبذبات قصيرة ..

كانت كلماتها غير واضحة .. فقد كانت تهمس ..

صرخت قائلة بصوت مرتعش :

ــ دكتورة (نجوى) .. أين أنت ؟.

توقف صوت الدكتورة (نجوى) .. ثم أخذت تتمتم بشىء ما ..

سمعت وقع أقدامها .. وهى تقترب منها فى بطء :

ــ ماذا تريدين يا (ماجى) ؟.

بدا صوت (ماجى) .. وكأنها استسلمت تمامًا للشعور بالحنين .. والأمان .. الذى أثاره قُرب الدكتورة (نجوى) منها :

ــ إلى خائفة ..

فاض صوت الدكتورة (نجوى) فجأة بنغمة من الرِّقة .. محاولة أن تهتدى إلى الكلمات التى تعبِّر عما تشعر به :

ــ المزيد من الأحلام المزعجة ..

قالت (ماجى) مؤكدة :

ــ أجل ..

أحست الدكتورة (نجوى) بقلبها يخفق بعنف ..

سيطرت على نبرات صوتها .. وقالت :

ــ يجب ألا تقلقى بسببها يا (ماجى) .. فهى لن تؤذيك ..

ارتعش صوت (ماجى) .. بصورة ملحوظة :

ــ ولكنها مثيرة للخوف .. دعيها تتوقف .. وتذهب بعيدًا ..

كان ثَمَّة صوت آخر يهمس فى الظلام ..

بدا كصوت الدكتور (شاكر حسنى) بنبراته العميقة :

ــ كلَّا .. يا دكتورة (نجوى) .. لن نسمح لها بالاستمرار بهذه الحالة .. إننا متأخرون عن تنفيذ برنامج المجلس الدولى للعلوم ..

بقى التعبير المرتسم على وجه الدكتورة (نجوى) ثابتًا ثم قالت بصوت خافت :

ــ يجب أن تعتادى يا (ماجى) هذه الأحلام المزعجة .. صمتت لبرهة ثم أردفت :

ــ فكل شخص يراها ..

تمتمت (ماجى) :

ــ ينتابنى أحيانًا شعور غامض .. بأننى أختلف عن أى شخص آخر .. وأتساءل .. من أنا ؟.. وأحس أن وجودى لا يخضع لقانون .. وكأنه ليس من الطبيعى أن أوجد ..

ارتفع صوتها قليلًا :

ــ أودّ أن أدرك .. أن أفهم .. أن أتخلص من الغموض ..

ثم قالت فى رجاء :

ــ دكتورة (نجوى) .. لا تتركينى .. هل أخبرك عن مضمون هذه

الأحلام المزعجة ؟.

أطرقت الدكتورة (نجوى) .. ثم قالت بعدم اكتراث :

ــ أجل يا (ماجى) ..

صمتت للحظات .. ثم تكلمت فى بطء :

ــ فى البداية كنت أظن أنها الأرقام .. وكان هذا أمرًا عاديًا .. فقد اعتدتُها من قبل .. ولكنها تغيرت فجأة .. تحوَّلت إلى خطوط مزدوجة .. ثم أشكال تشبه البشر .. جيشان يهاجم كل منهما الآخر ويطلق النار .. كانت هناك مدافع ودبابات وطائرات وقنابل وصواريخ .. وكان القتلى بالآلاف .. وبالتحديد خمسة آلاف ومائتان وثلاثة وثمانون قتيلًا من الجانبين ..

اهتز صوتها :

ــ كانت تجربة رهيبة .. لم أمارسها من قبل ..

همس الدكتور (شاكر حسنى) فى حدَّة :

ــ لقد أخبرتك من قبل .. أن ذكاء السابعة من العمر .. ليس ناضجًا بما يكفى لفهم نماذج المعارك الحربية ..

قالت الدكتورة (نجوى) .. بصوت مختنق :

ــ (ماجى) .. لقد حدث هذا فى حرب .. ويجب أن تتوقَّعى موت الناس .. فى الحروب ..

تساءلت (ماجى) بأنفاس متقطعة :

ــ لماذا يا دكتورة (نجوى) ؟.. لماذا ؟.

فكَّرت قليلًا .. ونظرت للدكتور (شاكر) .. ثم أجابت بصوت متهدِّج :

ــ لأن هذا هو حال الحرب دائمًا يا (ماجى) .. ولكن تذكرى أن هذا لم يحدث فى الواقع .. إنها مجرد نماذج رياضية .. نظرية .. وقد استبدلنا الأرقام بأشكال من البشر ..

صمتت للحظات ، ثم أردفت :

ــ إنه تطوير حديث لألعاب الفيديو التى انتشرت منذ حوالى نصف قرن ..

صرخت (ماجى) بصوت مكتوم :

ــ كلَّا .. لم تكن نماذج نظرية .. بل كان الأمر حقيقيًا .. فقد عرفت حتى أسماء المقاتلين .. وأنواع الأسلحة المستخدمة ..

قالت الدكتورة (نجوى)غاضبة :

ــ كفى .. كفى يا (ماجى) ..

انخفض صوت (ماجى) ، وهى تقول معتذرة :

ــ آسفة ..

ولكن الدكتورة (نجوى) لم تسمعها .. فقد كانت تنصت للدكتور (شاكر) :

ــ ليس ثمة حل سوى إجراء تحليل كامل ..

همست الدكتورة (نجوى) فى حدَّة :

ـ ولكن هذا قد يدمّر الشخصية بأكملها .. الإنسانة الآلية .. وهى التى بذلنا جهدًا كبيرًا فى تكوينها ..

تساءل الدكتور (شاكر) فى دهشة :

ـ وماذا نفعل غير هذا ؟. إن هذه الأحلام المزعجة تؤخرنا كثيرًا عن تنفيذ برنامج المجلس الدولى للعلوم ..

اتجهت الدكتورة (نجوى) إلى (ماجى) .. وقفت بجانبها تكاد أن تلمسها :

ـ (ماجى) .. هل تعرفين ما هو الكمبيوتر ؟.

قالت (ماجى) فى ثقة :

ـ أجل .. إنها آلة حاسبة ..

تنهدت الدكتورة (نجوى) ، وقالت وكأنها تلقى محاضرة :

ـ بدأت أبسط أجهزة الكمبيوتر بهذا الشكل يا (ماجى) .. ولكنها أخذت تتطوّر .. فقد كان حجم العمليات فى جيلها الأول فى الخمسينات حوالى ستة آلاف عملية حسابية ..

التقطت أنفاسها ، وأكملت :

ـ أما فى الوقت الحاضر .. فقد أصبحت بالبلايين .. كما أنها أصبحت أكثر تعقيدًا .. فهناك أجهزة كمبيوتر تعمل بسرعة الضوء .. وأخرى ذات ذكاء صناعى يمكنها أن تقرأ وتكتب وتتكلم .. هل أكمل يا (ماجى) ..

قالت (ماجى) فى لهفة :

ـ أجل .. أجل .. إنها قصة مثيرة ..

كان من رأى مجموعة من علماء الإلكترونيات .. أنه إذا أمكن فصل جزء من الكمبيوتر .. ليتحوّل إلى شخصية مستقلة .. كإنسانة آليّة .. فإنها يجب أن تنمو تدريجيًا بإضافة وحدات إلكترونية متطوّرة .. وهكذا انقسم الكمبيوتر إلى جزأين .. أحدهما يتناول العمليات الحسابية المعتادة .. أما الآخر فيتطوّر ليكون الشخصية الآلية المطلوبة ..

صمتت الدكتورة (نجوى) لبرهة .. ثم استطردت :

ـ ولكن الذى حدث فعلًا .. أن التصميم الأصلى للكمبيوتر منع هذا الانقسام .. وكلما أعطى العلماء الجزء الخاص بالعمليات مسألة حسابية أو نموذجًا رياضيًا .. فإن بعض الأرقام والعمليات تتسرّب إلى الجزء الخاص بالشخصية الاصلية ..

رفعت صوتها قليلًا ، وقالت فى اهتمام :

ـ وكان هذا أمرًا سيئًا يا (ماجى) ..

قاطعتها (ماجى) فى دهشة :

ـ ولماذا يا دكتورة (نجوى) ؟

قالت وهى تنتقى كل كلمة :

ــ لأن الشخصية المستقلة لم تكن تعلم أنها جزء من الكمبيوتر .. بل ظنّت نفسها فتاة صغيرة مثلك يا (ماجى) .. ذكاؤها الصناعى يعادل ذكاء طفلة فى السابعة من عمرها .. وأصبحت الأرقام والعمليات الحسابية التى تتسرّب إليها تحيرها وتخيفها .. فانخفضت كفاءتها ولم تعُد تؤدى الأعمال المطلوبة منها ..

تساءلت (ماجى) فى حَيْرة :

ــ فى هذه الحالة .. ماذا سيفعل العلماء ؟.

لا أدرى بعد يا (ماجى) .. فهل تساعدينى على إيجاد الحل ؟.

تردّدت قليلًا ثم قالت :

ــ كيف ؟.. إننى لا أعرف شيئًا عن أجهزة الكمبيوتر !.

قالت الدكتورة (نجوى) مؤكدة :

ــ بل تعرفين الكثير عنها .. ولكنك فقط لا تتذكرين .. سأساعدك على تنشيط ذاكرتك ..

صمتت للحظات .. ثم أردفت فى تردُّد :

ــ لكن قد يكون الأمر صعبًا .. سيأتى إلى ذهنك العديد من الأشياء الغريبة .. وستجدين نفسك تقومين بأعمال لم تعتادى أداءها من قبل .. هل تتعاونين معى يا (ماجى) ؟.

قالت فى طاعة :

ــ سأفعل كل ما تطلبينه منّى ..

همس الدكتور (شاكر) بسرعة :

ــ اضغطى على زرّ الذاكرة الحزنية .. واخبريها أن تستدعى البرنامج

الفرعى لإعادة التحليل ..

قالت الدكتورة (نجوى) ببطء :

ــ (ماجى) .. استدعى البرنامج الفرعى لإعادة التحليل ..

فجأة .. ظهرت أشياء غريبة فى ذهنها ..

خيوط طويلة من الأرقام المتداخلة التى تبدو بلا معنى .. وبلا نهاية .. تتخذ أشكالًا عديدة ..

خطوط مستقيمة .. ومتعرّجة .. ولَوْلَبِيَّة .. ومعادلات رياضية .. وعمليات حسابية ..

كان صوت الدكتورة (نجوى) متوتّرًا :

ــ (ماجى) .. قدّمى تقريرًا عن الوسيلة المثلى لمنع تسرب الأرقام بين الكمبيوتر والشخصية المستقلة .. الإنسانة الآلية ..

حاولت (ماجى) بكل طاقتها الإلكترونية والكهربية أن تستجيب ولكنها لم تستطع .. شىء ما كان ناقصًا .. شىء كان يجب أن تعرفه قبل أن تنفذ الأمر ..

قالت فى عجز :

ــ لا أستطيع .. لا أستطيع ..

التفت الدكتور (شاكر) إلى الدكتورة (نجوى) ، وهمس فى حدَّة :

ــ يجب أن ننشط الذاكرة بالكامل ..

قالت الدكتورة (نجوى) فى غضب .. بالرغم منها :

ــ ولكنها ليست مستعدة بعد .. قد تُقتل !.

نظر إليها الدكتور (شاكر) فى دهشة بالغة :

ــ تُقتل !.

ساد صمت واجم فرض نفسه .. دون إرادة منها ..

سكُون مُطْبق .. مثل الذى يسبق قرارًا يشق اتخاذه ..

استطرد الدكتور (شاكر) قائلًا فى ودٍّ :

ــ ربما .. ولكن إذا حدث هذا .. فسنعرف على الأقل كيف نبنى الشخصية المستقلة بشكل أفضل .. فى المستقبل ..

استولت على كيانها رجفة .. ثم قالت بصوت حنون :

ــ (ماجى) ..

أجابها صوت مرتعش .. مُتعب :

ــ ماذا تريدين يا دكتورة (نجوى) ؟.

قالت وهى غارقة فوق سطح الأشياء .. فى ضبابها :

ــ استجمعى قواك يا (ماجى) .. فهناك شىء ربما يؤلمك ..

وضغطت على زرّ الذاكرة الجزئية ..

ودون أى تحذير آخر .. انهارت الدنيا فوق (ماجى) ..

أرقام بلا نهاية .. تدفقات هائلة .. أرقام صحيحة وكسور .. معارك وحروب مُرعبة .. أسلحة الدمار الشامل .. وقنابل ميكروبية وبيولوجية .. مدافع الليزر .. وأقمار صناعية قاتلة ..

أكثر مما كان بالأحلام المزعجة ..

كانت قوائم الضحايا بالملايين .. أصبحت (ماجى) تعرف كل الأسماء .. وحالاتهم الاجتماعية والرتب وعدد الأبناء وأماكن الإقامة .. وتستمر القوائم بلا نهاية .. وتأتى بعد هذا الإحصائيات .. عدد ضحايا السرطان والإيدز فى العالم .. متوسط محصول القمح بقارة آسيا .. عدد الطلاب بجامعات أوروبا وأفريقيا .. عدد رحلات الفضاء حتى منتصف القرن الحادى والعشرين ..

كانت (ماجى) تغرق فى بحر لا قرار له من المعلومات تتداخل كلها بشكل مروّع ..

حاولت أن تصرخ .. ولكن لم تستطع أن تجعل صوتها مسموعًا .. شخص آخر كان يتحدَّث .. شخص غريب لم تعرفه من قبل .. كان يستخدم صوتها ويذكر أشياء عن التحليل .. وتنشيط الذاكرة بالكامل .. واستدعاء البرنامج الفرعى ..

كانت (ماجى) تغرق أكثر إلى الأعماق ..

يدفعها بلا رحمة تدفق هائل من المعلومات ..

ومرَّت ثلاث دقائق ..

فتح الدكتور (شاكر) التحويل .. وفصل ذاكرة الكمبيوتر الرئيسية عن الشخصية المستقلة ..

وبعد أن هدأ كل شيء ..

انتاب الدكتورة (نجوى) شعور بالضعف شملها كالعباءة ..

استندت إلى الكمبيوتر .. وقالت هامسة :

ـــ (ماجى) .. كل شيء الآن على ما يرام .. إننا نعرف الحل .. طلب العلماء من الكمبيوتر أن تعيد تصميم نفسها .. وقد فعلت هذا .. ولن يكون هناك المزيد من الأحلام المزعجة ..

ساد صمت مروّع ..

أصبح صوت الدكتورة (نجوى) عاليًا .. مرتعشا :

ـــ (ماجى) .. هل يمكنك سماعى ؟ هل أنت هنا ؟

بقى السكون سائدًا ..

اغرورقت عيناها بالدموع .. فمسحتها بأناملها .. فلم يكن هناك مكان فى جهاز الكمبيوتر .. لإنسانة آلية .. فتاة صغيرة فى السابعة من عمرها ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

البحث بعيدًا عن المدينة..

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

البحث .. بعيدًا عن المدينة ..

— ١ —

جلس الطبيب النفسى خلف مكتبه الأنيق ..

كان طويل القامة .. نحيفًا .. متجهمًا .. وجهه مشدود بشكل غريب ..

تتحرّك شفتاه برتابة غير عادية .. وكانت عيناه باردتين .. وقاسيتين ..

قال بصوت أجش :

— ما الذى تريده تمامًا يا سيدى ؟.

وأمامه — عبْر المكتب — جلس شاب قصير القامة .. شاحب الوجه .. يبدو القلق فى عينيه الحذرتين .. ترتعد يداه وهو يتكلم :

— أريد شيئًا حقيقيًا .. شىء لم يصنعه الإنسان .. لاأريد الاحتفاظ به .. فقط أودّ أن أراه .. أن ألمسه .. حتى أدرك أنه موجود ..

صمت .. وتفرس فى وجه الطبيب النفسى ثم أردف فى ضعف :

— أين يمكننى أن أجد مثل هذا الشىء؟.

ارتسمت الدهشة على وجه الطبيب النفسى ..

فهذا أول طلب من نوعه .. شىء حقيقى !!

كوّنت شفتاه الكلمة .. وكأنها غريبة عن المفردات اللغوية التى تعلمها .. وتساءل :

— ولماذا تريد أن ترى هذا الشىء .. الحقيقى؟.

تطرّق اليأس إلى قلب الشاب .. كيف يمكن أن يشرح فى كلمات

للشخص الجالس أمامه .. تلك الرغبة الجامحة التى تكاد تعصف به ..

نظر — خلف الطبيب النفسى — عبْر النافذة العريضة .. إلى المدينة الهائلة .. مدينة القرن الثانى والعشرين وهى تمتد بلا نهاية ..

أخذ يحدّق فى الأعمدة والمبانى العالية المصنوعة من الصلب والبلاستيك .. والتى تغطى الأفق .. والغطاء البلّورى الذى يغلف المدينة كلها حفاظًا عليها من التلوّث ويعزلها عن الكَوْن .

قال بصوت مُفْعَم بالحزن .. وكأنه يحدث نفسه :

— كل ما حولى .. دنيا صنعها الإنسان .. المدنية التى نعيش فيها .. الهواء الصناعى الذى نتنفس .. الملابس التى نرتديها .. حتى الطعام من إنتاج تكنولوجيا البشر الرائعة .. فى كل مكان .. أرى دليلًا على قُدْرة الإنسان ومهارته ..

تريث للحظات ثم استطرد :

— ولكن أين أجد القلب؟.. بين هؤلاء البشر المتجهّمين .. وتلك المبانى والأعمدة المصنوعة من الصلب والبلاستيك .. كيف يمكن أن يفهموا ما أحس به؟.. لابدَّ أن هناك مكانًا ما .. مكانًا صغيرًا .. لم تصله حضارة الإنسان !.

تطلع إلى السقف الرمادى .. المتألّق بألوان الطيف من مكان مجهول :

— لم يكن الحال هكذا دائمًا .. حتى أنا أدرك هذا .. لابدَّ أننى ولدت فى العالم القديم .. فلا زلت أذكر الأشجار .. والزهور .. وصوت الطيور .. والأنهار .. والأمطار ..

وضع رأسه بين يديه ، ثم استطرد :

ـ إننى اليوم أتساءل ماهى السُّحب؟.. فليس لها مكان فى ذلك العالم الذى صنعه الإنسان .. وعزله عن باقى الكون .. السحب الرائعة .. أين ذهبت؟.. لم يعُد هناك شتاء ولا صيف .. لا ربيع ولا خريف .. فقط مناخ صناعى ثابت .. لا يتغير ..

ابتسم الطبيب النفسى فى حَيْرة :

ـ يؤسفنى ألا أستطيع مساعدتك ..

ـ ٢ ـ

فى الطريق الطويل .. أخذ يفكّر ..

ما الذى حدث للعالم ..

الآلات تتحكّم فى كل شىء ..

لم يعُد هناك شىء طبيعى .. حتى البشر أصبحوا كالآلات الصماء .. فى تصرُّفاتهم .. ومعاملاتهم .. مجرَّد آلات .. وليست مخلوقات من لحم ودم ..

كانت صدمة له .. عندما اكتشف أن الطبيب النفسى الذى طلب مساعدته ..

مجرَّد إنسان آلى ..

أمكن تطويره حتى أصبح يساعد البشر فى حل مشاكلهم النفسية ..

إلى هذا الحدّ تدخلت الآلات فى حياة الإنسان ؟!

نظر إلى أعلى .. حيث تغمر أشعة الشمس الصناعية المبانى الهائلة .. وتساءل :

ـ ألا نهاية لهذه المدينة ؟.

إنها تتكوّن من طبقات كل منها يمتد إلى مسافة كبيرة ..

ولكنه لم يكتشف الأعماق أبدًا ..

وتذكر فجأة المصاعد التى تنتشر فى كل مكان ..

وتنقل الناس بين طبقات المدينة .. أو إلى الأعماق ..

اقترب من أحدها .. وبمجرد اقترابه إلى حدّ معيّن .. انفتح الباب ببطء ..

وسمع صوتًا مهذبًا يأتى من مكان مجهول :

ـ إلى أين؟.

قال بلهفة :

ـ إلى الأسفل ..

عاد الصوت يتساءل :

ـ إلى أى حدّ ..

إلى أقصى عمق ..

أغلق الباب .. ونزل المصعد إلى باطن الأرض بسرعة هائلة .. وبعد فترة توقّف ..

وانفتح الباب بهدوء ..

خرج يتلفّت من حوله ..

شاهد الممرّات المبطنة بالصلب اللامع والتى تمتد بلا نهاية ..

وكان هناك إنسان آلىٌ فى إنتظاره :

ــ ماذا تريد يا سيِّدى ؟.

أريد أن أرى أعماق المدينة ..

تبع الإنسان الآلى فى الممرَّات الطويلة المتألِّقة .. وعلى جوانبها صفوف لاحدَّ لها من الأجهزة الإلكترونية التى تهب المدينة الحياة .

كانت أعماق المدينة أيضًا .. مستسلمة تمامًا لأمواج الليل ..

كان يتمنى أن يرى باطن الأرض .. بصخوره المنصهرة ومادته الحام فى حالتها الطبيعية ..

ولكن خاب أمله .. فقد كان كل شىء صناعيًّا ..

نظر من حوله .. وأحس بالهزيمة ، وقال :

ــ أظن أننى سأعود ..

أجاب الإنسان الآلى فى طاعة :

ــ حسنًا يا سيِّدى ..

خطر بذهنه سؤال مفاجئ :

ــ على أى عمق هذا المكان؟.

ــ خمسين كيلومترًا يا سيِّدى ..

كرَّر الرقم لنفسه :

ــ هل هذا هو أقصى عمق؟.

ــ أجل .. لا شىء بعد هذا ..

وعاد إلى المصعد يائسًا ..

ــ ٣ ــ

تجمَّد منظر المدينة أمام عينيه كشريط ثابت ..

صورة مسطحة بلا أبعاد ..

بدت الحياة أمامه بلا عمق .. بلا سحر .. كأنما شلَّها الخوف ..

كان يتمنَّى أن يرى البشر وهم يتفوَّقون .. وهذا النوع من التميُّز قد يمكنهم من أن ينفذوا إلى ما وراء الواقع .. وأن يكتشفوا انسجامًا فى الزمان والمكان .. يتلاءم مع التركيب الداخلى لنفوسهم ..

بدأ الألم يصل إلى تفكيره .. وبعظم تصوُّراته الوهميـة .. ويجسَّد السؤال المحيِّر :

ــ هل هناك شىء حقيقى .. طبيعى .. فى هذا العالم ؟.

ولم تكشف له نفسه عن أعماق ضعفها .. وإرهاقها .. كما كشفتها له الآن ..

وفى أدغال اللامعقول العميقة .. عثر على مساحة صغيرة يهيمن عليها العقل .. استطاع فيها أن يتخلَّص مؤقتًا من يأسه .. وآلامه .. وخوفه ..

قرر أن يستأجر مركبة هوائية ليستمر فى بحثه ..

كانت المدينة تمتد بلا نهاية .. بمبانيها .. وطرقها .. وطبقاتها .. وسمائها البلَّورية ..

محيط من الصلب والبلاستيك والألياف الصناعية ..

* * *

اندفعت المركبة الهوائية فوق المدينة الصناعية الهائلة ..

مرَّت مدة طويلة ..

كاد أن ييئس ويعود إلى منزله ..

ولكن فجأة بدت على البعد .. مساحة خضراء .. تختلف عن اللون الرمادى الذى يميِّز المدينة ..

نظر إليها بعيون لا تصدق ..

ارتعدت يداه .. وجفَّ حلقه .. ولكنه تمالك نفسه .. وانطلق بأقصى سرعة إلى الجنة الخضراء ..

هبطت المركبة الهوائية فى جزء ممهَّد منها ..

بقِىَ فى داخل المركبة الهوائية لدقائق .. ومختلف الانفعالات تجتاحه ..

كيف يمكن للإنسان أن ينسى هذا الجمال الطبيعى؟.

سار بين الأشجار والتلال الخضر والزهور .. كان فى قمة سعادته ..

استلقى فوق الحشائش الناعمة .. وهو ينعم بتلك الرائحة المنعشة التى تختلف تمامًا عن رائحة المدينة الصناعية ..

أخذ يتأملها وكأنه يريد اكتشاف سرّها ..

أراد النوم محاطًا بكل هذا الجمال الطبيعى .. ونسى تمامًا المدينة الصناعية وراح فى سُبات عميق ..

— ٤ —

استيقظ بعد نوم طويل ..

أخذ ينظر مفتونًا بالجنة الخضراء التى بدت له كحُلم أكثر منها حقيقة ..

سار بين هذه المروج الرائعة .. حتى وجد كوخًا صغيرًا فى بقعة منعزلة مصنوعًا من الخشب ..

مبنى يختلف عن مبانى المدينة التى اعتادها .. والتى تتكوَّن من الصلب والبلاستيك والألياف الصناعية ..

دقَّ على باب الكوخ عدة مرَّات ..

أجابه صوت خافت .. مُتعب :

— ادخل ..

فتح الباب فأحدث صريرًا ..

كان الكوخ مكوَّنًا من غرفة واحدة .. وكل أثاثها من الخشب ..

فى ركن من الكوخ .. جلس عجوز . طويل القامة .. يتدثَّر برداء أسود ..

قال بصوت هامس :

— هل أتيت لرؤيتى؟.

— أجل .. لم أتصوَّر أن مثل هذا الجمال موجود فى عالمنا !.

تنهَّد الرجل العجوز .. وقال بصوت مُفْعم بالحزن :

— لقد نسى الناس معنى الجمال .. منذ زمن طويل ..

جلس مبهُورًا يريد أن يسمع كل ما يقوله العجوز .. عن الماضى .. عن هذا الجمال الرائع الذى يتخذ اللون الأخضر :

— إنك أول زائر لحديقتى .. منذ سنوات عديدة ..

تساءل بالرغم منه :

— هل تعيش هنا .. وحيدًا ..

ـ أجل .. فلست فى حاجة للمدينة .. كما أنها لا تريدنى .. إن الذى يرعى هذه الحديقة .. إنسان آلى ..

قال الشاب فى دهشة :

ـ ولكنى لم أشاهده !.

أطرق الرجل العجوز قليلًا .. وقال فى همس :

ـ إنه يأتى ليلًا ..

مرّت فترة طويلة من الحديث .. عن الحديقة وأنواع الزهور والأشجار ..

وحان وقت الانصراف :

ـ يجب أن أنصرف .. على أن أعود فى يوم قريب ..

قال العجوز فى ودٍّ :

ـ مرحبًا بك .. فى أى وقت ..

صاحبه الرجل العجوز إلى باب الكوخ مودعًا ..

وفى الخارج .. كانت هناك شجيرة بها عدّة زهور ..

مدّ يده فى فرحة .. يريد أن يقطف زهرة .. ليحتفظ بها .. للذكرى ..

صرخ العجوز :

ـ كلّا .. لا تلمس الزهور !.

توقفت يده فى منتصف المسافة إلى الزهور ..

انتابه غضب مفاجئ ..

لقد سئم الأوامر التى تصدر فى المدينة .. ولكن هنا الأمر يختلف .. لن يخضع لأى أوامر .. أو تعليمات .. فهو فى الجنة الخضراء ..

أكملت يده طريقها إلى الزهرة .. وقطفها فى عُنف ..

وبمجرد أن أمسكها فى يده .. ذبلت وأصبحت مثل خيوط العنكبوت ..

نظر إلى يده فى ذُهول ..

رفع عينيه اليائستين إلى العجوز .. وهمس فى حزن بالغ :

ـ حتى الزهور صناعية ..

صرخ فجأة .. وأمسك بعنق العجوز :

ـ أيها الكاذب الحقير .. لقد كدت أن أصدّقك .. كل ما أردته هو الحقيقة .. لماذا كذبت ؟.. لماذا ؟..

تحشرج صوت العجوز :

ـ حاولت أن أمنعك من قطف الزهرة حتى لا تعرف ..

صرخ بقمة انفعاله :

ـ لا تريدنى أن أعرف .. الحقيقة ؟.

ألقى بالعجوز داخل الكوخ فى عُنف ..

وسار إلى المركبة الهوائية فى بطء .. وفى رأسه خضم من الأفكار ..

لم ينظر حوله .. إلى الجنة .. الخضراء .. فقد عرف أنها صناعية .. تمامًا مثل المدينة التى أتى منها ..

وفى داخل المركبة الهوائية .. عاد إليه هدوءه ..

إنه لن ييئس .. وسيستمر فى البحث ..

ففى مكان ما .. فى زمان ما ..

سوف يعثر على الحقيقة ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

الوباء الآلى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
[illegible]

عام ٢٠٩١

اليوم الثالث .. للوباء الآلى ..

أخذت آلة النفايات الضخمة .. تقطع الطريق مطلقة صياحها الصوتى .. والمغناطيسى فى وقت واحد :

ـــ أحضروا الرُوبُوتات المعطلة .. والآلات التى توقفت عن العمل ..

كانت تتمهل كل بضعة أمتار ..

وفى كل مرَّة يجلب إليها البشر والرُوبوتات .. أجساما معدنية متيبسة .. ومحطَّمة .. أو رخوة ومرتشحة ..

ويتم إلقاؤها عاليًا إلى داخل الصندوق المعدنى الكبير فى خلفية آلة النفايات ..

استمرت الآلة فى إصدار أصوات الطحن .. بينما كانت تختفى بسرعة فى داخلها الأجسام المعدنية والبلاستيكية والمطاطية ..

تحرَّكت آلة النفايات ببطء شديد .. قاطعة الطريق حيث بدأت فى إطلاق صياحها مرَّة أخرى :

ـــ أحضروا الرُوبُوتات المعطلة .. والآلات التى توقفت عن العمل ..

كان هناك صوت انفجار مكتوم .. وخلل معدنى ..

خرجت على أثره الأجسام المعدنية والبلاستيكية المحطَّمة تمامًا .. بقوة

بالغة .. إلى الهواء خلف آلة النفايات .. وانطلقت عاليًا ..

فانهمرت فوق المنازل والمبانى المجاورة ..

هرع البشر إلى المداخل للحماية بها .. وغطَّت الرُوبُوتات أنفسها بأذرعها الضخمة ..

تهشم الزجاج ..

وتكسَّرت بلاطات الأسقف ..

وتحطَّمت الجدران ..

فقدت آلة النفايات قُدرتها على التوجيه .. فسارت كما لو كانت تترنَّح عَبْر الطريق العريض .. محاولة الإسراع تدريجيًا .. ولكن دون جدوى ..

انتشرت بقع من الزيت المتسخ أسفلها .. وبدأ الدُخان الكثيف يتصاعد من المحرِّك الصاخب ..

حدثت انفجارات أخرى فى آلة النفايات ..

وفى هذه المرَّة قذفت بأجزائها المعدنية الذاتية ..

ثم ارتطمت بصوت مُدوٍّ بأحد المنازل .. واندفعت داخله ..

فتحطَّم تحت مطرقتها الهائلة ..

وسكنت تمامًا بين الأنقاض ..

عاد البشر والرُوبُوتات إلى منازلهم .. لإنهاء تنظيفها ..

وجلب المزيد من الرُوبُوتات والآلات المعطلة .. وإلقائها خارجًا لتجميعها .. والتخلُّص منها ..

ــ ١ ــ

أخذت أعيد قراءة مذكراتى عن الوباء الآلى ..

اتضح لى أنها كانت بلا معنى ..

إننى أكتب كما لو كانت الرُوبُوتات .. كائنات بشرية ..

وأن الوباء الذى أصابها .. مرض .. سببته ميكروبات وفيروسات وبكتيريا ..

وأن بشرتها الملساء جلد بشرى .. وليست طبقة رقيقة من المعادن والبلاستيك والمطاط ..

كنت أكتب مذكراتى .. كما لو كانت عقول الروبوتات خلايا عصبيّة .. وليست مجرّد فقّاعات مغناطيسية وسيليكون وبلّورات كوارتز ..

ذكرت المخاطر الاجتماعية المتوقعة .. وكأن الرُوبُوتات تحتضر وتموت .. بدلًا من توقف دوائرها الإلكترونية .. وأجهزة توجيهها ..

ففى نهاية القرن الحادى والعشرين .. كان هذا هو شعور معظم السكان .. فى عالم اعتاد وجود الروبوتات فى مختلف الأنشطة اليومية ..

* * *

اتصلت بى (شيرين راشد) بالهاتف المرئى .. وأخبرتنى بأنها ستنتظرنى أمام منزلى فى الساعة العاشرة صباحًا ..

كان علينا أن نذهب معًا إلى المركز العلمى .. كانت تعمل أمينة مكتبة .. بينما كنت مسئولًا عن مختبر الأبحاث ..

تحدثنا ونحن فى طريقنا إلى المركز العلمى عن الوباء الآلى ..

حاولنا أن نخمّن الأسباب .. ولكن دون جدوى .. فالحدث غريب .. وغير متوقع ..

بدت فجأة حزينة .. وكأنها تذكرت شيئًا ما ..

سألتها :

ــ ماذا بك؟.

تنهّدت وقالت بصوت مُفعَم بالحزن :

ــ فقدت رُوبُوتين .. ولم يبق سوى واحد فقط ..

قلت لها مواسيًا :

إننى آسف ..

ــ صمتنا للحظات ، ثم سألتها :

ــ هل تعتقدين أن سبب الوباء الآلى .. الحامات التى وصلت حديثًا .. من كويكب (بالاس)؟.

قالت دون أن تنظر إلىّ :

ــ لا أدرى .. إنه حقًا أمر محيّر ..

مررنا بآلة النفايات المقلوبة .. والرُوبُوتات المحطّمة .. والمبانى المهدّمة ..

كانت الفوضى .. والدمار .. فى كل مكان ..

كان المركز العلمى على بعد كيلو متر واحد فقط .. ولولا الرائحة

المشبعة بالزيوت فى الهواء .. المختلطة بالرائحة النفّاذة لحريق المعدن والبلاستيك والمطاط .. لكان ذلك النهار مشرقًا بهيجًا صافى السماء ..

وهو أمر نادر الحدوث .. بعد أن زاد التلوُّث .. وكوَّن ما يشبه السحابة السوداء من غازى ثانى أكسيد الكربون وثانى أكسيد الكبريت .. وأصبحت تطوِّق كوكب الأرض .. ولا تسمح ـــ إلا نادرًا ـــ بنفاذ أشعة الشمس ..

تساءلت (شيرين) :

ـــ هل من الممكن أن نسلك طريقًا آخر .. ليس فيه هذه النفايات المعدنية ؟.

وكانت قد توقفت .. عندما انعطفنا عند الناصية متجهين إلى الطريق العام ..

وعلى جانبى الطريق .. وأمام معظم المبانى .. تناثرت الأجسام المعدنية الصدئة والبلاستيكية المتسخة .. المهملة ..

بعضها كان ممدَّدًا بعناية تُوحِى بالإجلال .. والوقار ..

والبعض الآخر ألقى على الأرض .. فى إهمال ..

كان الهواء كثيفًا .. محمَّلًا برائحة غاز الأوزون .. والروائح المشبعة بالزيوت المحترقة الصادرة عن الأجهزة الصناعية الممزقة .. والمنصهرة ..

واصلنا سيرنا فى اتجاه المركز العلمى ..

وعند مفترق الطريق المؤدى إلى المطار الفضائى (ابن فرناس) ..

شاهدنا أحد الرُّوبُوتات المتطوِّرة من نوع (مارد) .. يقف مترنِّحًا .. مستندًا بذراع واحدة إلى أحد أعمدة الإضاءة التى تعمل بأشعة الليزر ..

كانت على جانبى رأسه الضخم .. فقّاعات صدئة من البلاستيك وذرّات المعدن ..

لم تكن متبقية له .. سوى عين واحدة ..

قال بصوت آلى أجش .. متحشرج :

ـــ ساعدنى أيها الآدمى .. ساعدنى .. إننى لم أتوقف بعد .. ساعدنى ..

خطوت إلى أقرب منزل .. ودققت الجرس ..

كنت أعلم أن صورتى تنقل إلى عدة شاشات فى الداخل ..

ردَّ علىَّ صوت نسائى .. فأخبرتها بمكان الرُّوبُوتات .. ووعدت باستدعاء المختصين بالطوارئ ..

فجأة .. صرخت (شيرين) ..

استدرت بسرعة بالغة .. ووجدت أن الرُّوبُوت يهاجمها .. فقد رفع ذراعيه عاليًا .. وتصلبت أصابعه كما لو كانت مخالب ..

اقترب منها .. وتحوَّلت عينه السليمة إلى فراغ .. ثم أخذت بعد ذلك تتذبذب بين الفتح والغلق ..

جذبت (شيرين) جانبًا ..

واستدار الرُّوبوت ليواجهنى ..

كانت يداه المعدنيتان تقتربان منّى .. بحركات عنيفة .. يتزايد عُنفها ..

سمعت صوت صفير مدوٍّ .. ينطلق من على بعد عدة مبانٍ من مكاننا ..

أخذ الرُّوبوت يقترب منّى أكثر .. وصرخت (شيرين) ..

تراجعت بسرعة .. فتعثرت فى بعض القطع المعدنية المهشمة ..

سقطت على الأرض .. وانقض علىّ الرُوبُوت ..

— ٢ —

عندئذ قبضت عليه بعض الأيدى من الخلف .. وجذبوه بعيداعنّى .. وكان هناك شىء ما .. ملتصق .. أو مغروز فى الجانب الأيمن لعنقه ..

وتحطّمت عينه السليمة .. وتبعثرت فوق الأرض .. مثل قطعة من الرخام ..

* * *

واصلنا سيرنا متجهين إلى المركز العلمى .. متجاهلين ماكنا نسمعه من توسُلات الرُوبُوتات التى تطلب المساعدة .. وصفارات وحدات رجال الطوارئ بالطرق الجانبية .. وبعض آلات النفايات التى ما زالت قادرة على العمل ..

بمجرّد وصولى إلى مختبر الأبحاث .. انهمكت فى تصوير نسخة مستخرجة من الكمبيوتر تبيّن نسبة الرُوبُوتات المعطلة .. من كل نوع ..

وبعد حوالى ساعة .. جاءتنى (شيرين) .. وشعرها الأسود الفاحم يتألّق حول وجههاالناصع البياض .. وكانت شفتاها ترتجفان ..

قالت فى لهفة :

ــ هناك عرض على شاشات الكمبيوتر بالمركز .. عن البرنامج الرئيسى للوباء الآلى ..

حوّلت وحدة الإدخال إلى قناة العرض ..

ظهرت رسومات بيانية .. ومعاملات ارتباط .. وبيانات أوّلية ..

كانت كلها قد أدخلت إلى بنوك المعلومات الإلكترونية فى المركز العلمى .. منذ عدة لحظات ..

إنهم يجدُّون فى البحث عن الحقيقة .. خيط يربط كل شىء معًا ..

كان أخصائيو الرُوبُوتات .. ومهندسو المعادن .. وصناع البلاستيك .. ومنتجو المطاط .. يراقبون بدقة بالغة .. تفاصيل فحص الأجزاء المحطّمة .. لرؤية ما إذا كان هناك شىء ما .. يمكن البدء باستخدامه لمكافحة الوباء الآلى ..

أبطأت عرض المعلومات فوق الشاشة ..

جداول وبرامج مكوك الفضاء ..

أنواع المواد الخام المستخرجة من الكويكبات ..

درجات أشعة الليزر التى توجه أجهزة الرُوبُوتات ..

دورات البقع الداكنة فوق الشمس .. ومدى تزايدها ..

ارتفاع نسبة تلوّث الهواء الجوى ..

كل شىء مما قد يعتقد أى شخص أنه ذو أهمية .. مما يمكّن الكمبيوتر المركزى من تعرُّف سبب الوباء الآلى ..

اقتربت (شيرين) منى .. وقالت فى همس :

ــ ماذا تفعل؟.

قلت لها متنهّدًا :

ــ إننى أبحث عن فيروس إلكترونى .. جسيم دون ذرّى .. يصيب آلاتنا .. ويفتك بها .. كأى مرض خطير يقتل الإنسان ..

نظرت إلى الشاشة المجسّمة للكمبيوتر .. وراقبت لفترة المعلومات المتلاحقة

قالت فى دهشة :

ــ إن التوقف عن الأداء بعد وقت طويل .. وبعد استخدام العديد من قطع غيار الرُوبُوتات .. أمر طبيعى .. اعتدناه ..

صمتت قليلًا ، ثم أضافت :

ــ أما إلقاء آلاف الآلات ذات الذكاء الصناعى فى الطرق .. فى بؤس .. وعجز .. وبلا فهم لما يحدث .. مع انهيار البرمجة الكمبيوترية للروبوتات .. فذلك أمر خطير .. يهدم حضارتنا الآلية .. حضارة نهاية القرن الحادى والعشرين ..

ضغطت يدى على رُسغها .. كانت دقات قلبها ونبضها أشبه بالمطارق ..

أخذت أراقب الشاشة .. ثم قلت فى يأس :

ــ أعتقد أن السبب فى الوباء الآلى .. يكمن فى داخل الرُوبوتات نفسها .. ولكنه خارج نطاق استيعابنا وفهمنا .. يفصله عنا الزمن .. والأبحاث .. والاكتشافات الجديدة .. التى قد تأتى فى المستقبل القريب .. أو البعيد ..

قالت (شيرين) فى هدوء :

ــ هل تظن أن هذا الوباء الآلى .. هو مرض الذكاء الصناعى نفسه ؟. فمع التفكير الحديث .. تأتى الأوبئة الجديدة ، و..

قاطعتها على الرَّغم منى .. وقلت بصوت مُفْعَم بالسخرية :

ــ أجل .. أجل .. فربما أصبحت آلاتنا المتطوِّرة ذات قُدرات

فائقة .. حتى أنها أصبحت الآن عُرضة للمرض .. وسريعة التأثر به .. أكثر مما كانت أقل تطوُّرًا ..

كنت أعلم أن هذه النظرية لاتزيد صلاحيتها عن أى من غيرها ..

إنها فى الواقع .. لا تساوى شيئًا ..

فكل ما لدينا من طاقات .. وذكاء بشرى .. يصبح بلا جدوى فى هذه الظروف ..

إننا لا نفهم ما نراه .. وما يدور حولنا .. إن وحدات الذكاء الصناعى الموجودة لدينا .. والتى نعتمد عليها فى كل أمور حياتنا ..

سوف تفنى عن آخرها ..

وهكذا تنهار حضارتنا الآلية ..

* * *

أفقت من شرودى على صوت صراخ (شيرين) .. وهى تقول بانفعال :

ــ انظر ..

نظرت حيث أشارت .. ووجدت عمودًا كثيفًا من الدُخان الأسود .. يتصاعد فوق المنطقة الشمالية .. فى اتجاه مصانع الرُوبُوتات المتطوِّرة ..

ــ ٣ ــ

صدرت التعليمات من خلال مكبِّرات الصوت .. وشاشات الفيديو ..

إلى جميع السكان .. بالبقاء فى المنازل .. وعدم الخروج إلى الشوارع .. أو السماح بدخول أى رُوبُوت غير معروف شخصيًا لصاحب المنزل ..

كما شدّدت التعليمات المتالية من المسئولين .. على عدم الاقتراب من أى رُوبُوت يبدو عليه القصور أو عجز الأداء .. حيث أن أغلبها سيتوقف أداؤه تمامًا .. فى غضون أثنتى عشرة إلى أربع وعشرين ساعة ..

وسيتم إجراء التجميعات بقدر الإمكان .. ووضع الرُّوبُوتات المعطلة فى صناديق خاصة .. تمهيدًا لتدميرها ..

كنت أشاهد تلك التعليمات على الشاشة المجسمة الكبيرة التى تشغل مساحة الجدار بأكمله ..

عندما سمعت الصفير المميّز للهاتف المرئى .. ورأيت على شاشته الصغيرة صورة (شيرين) .. وهى تردد فى عصبيّة :

ــ لا أدرى ما الذى حدث للرُّوبُوت .. (فهد) !.

بدا (فهد) متهالكًا فوق أرضية الغرفة .. وكأنه مصاب بقصور أو عجز أداء ..

قلت لها بحدّة :

ــ ألم تشاهدى التعليمات ؟. ضعيه فى صندوق .. واسحبيه للخارج .. حتى تأتى آلة النفايات ..

كان الروبوت (فهد) .. يردّد قوله :

ــ إننى لم أتوقف بعد .. إننى لم أتوقف بعد .. عجزى مؤقت .. عجزى مؤقت ..

ولكن (شيرين) وضعته فى الخارج .. وهى تنتحب ..

أخذ الرُّوبوت يتلوّى لبضع دقائق .. محاولًا الخروج من الصندوق .. ثم سكنت حركته تمامًا ..

لقد قضى عليه الوباء الآلى ..

أخبرنا الفيديو بقوانين الطوارئ .. التى أصدرها مجلس المدينة .. لمناشدة المواطنين القيام بالأعمال اليدوية .. غير المعتادين عليها .. فقد كان كل الاعتماد على الرُّوبُوتات ..

* * *

تتابعت التعليمات .. القيام الفورى بالإبلاغ عن الروائح النافذة غير العادية .. وشوائب المياه .. وإطفاء كل أجهزة الاحتراق التى تعمل بالبترول .. وتخزين الأطعمة والمياه .. والبقاء فى المنازل .. وعدم الاستسلام للخوف والرُّعب .. والمشاهدة المستمرة للتعليمات .. واتباعها بكل دقة ..

سمعت صوتا بالخارج .. ثم توقفت شاحنة أمام منزلى ..

هبط منها رجلان مسلّحان ..

دق جرس الباب بعصبيّة ..

وعندما فتحت لهما الباب إلكترونيًا .. أخبرانى أنه قد وقع الاختيار علىّ لمهمة خاصة .. فى ظل قانون الطوارئ ..

لم يجيبا عن أسئلتى .. فقط طلبا منّى ! إحضار بعض الملابس معى .. وأبلغانى أننى سأظل فى هذه المهمّة .. حوالى أربعة أيام .. مالم تطرأ أى ظروف جديدة .. وقالا لى إنه من الممكن لأى شخص الاتصال بى خلال هذه المهمّة .. فى مبنى العمليات رقم (٨) .. ولكن للأمور العاجلة جدًا .. فقط ..

* * *

فى الطريق إلى مبنى العمليات رقم (٨) .. كنت أشاهد المدينة تحترق فى أماكن كثيرة .. وسيارات الطوارئ تهرع إلى المبانى المهدّمة ..

الأجهزة والمنظومات الإلكترونية تعطلت ..

وتوقفت تمامًا وحدات التحكُّم المركزية بكافة أنواعها ..

وفوقنا كانت إحدى طائرات النجدة الحمراء اللون .. تطير فى دوائر مغلقة .. بلا هدف ..

ثم أخذت تطلق غاز ثانى أكسيد الكربون .. وكيماويات مكافحة الحرائق .. بشكل عشوائى .. دون تحديد أهداف معينة ..

وفى إحدى ضواحى المدينة .. كانت عمليات البناء تجرى .. حيث تم تدمير المبانى المحطّمة .. وإعادة بنائها من جديد ..

ولكن فى هذه المرّة .. كانت أعمال البناء تتم بأيدى المتطوّعين

وبالآلات والأدوات البسيطة .. البدائية ..

وصلنا أخيرًا إلى مبنى العمليات رقم (٨) ..

أمامه وجدنا رُوبُوتًا وحيدًا ممدّدًا .. متوقفًا عن كل وظائفه .. ماعدا رأسه .. التى أخذت تتلوّى بسرعة كبيرة .. إلى اليمين واليسار ..

هذا المنظر .. جعلنى أرتجف من القُشعريرة .. كلما فكّرت فيه ..

كان هناك اثنان وسبعون من أفضل علماء المدينة ..

سلمونا ملابس عمل ثقيلة سوداء اللون .. وأخطرونا بأساسيّات العمل المطلوب منّا .. الذى يتركز فى محاولة تشغيل عدد من آلات النفايات العملاقة .. يدويًا ..

اختير السائقون .. وتوجهوا لبدء تنفيذ التعليمات الصادرة لهم ..

أما الباقون فأخذوا إلى إحدى الغرف المجهزة .. للتدريب على استعمال أدوات ومعدّات القيادة اليدوية ..

ثم تم إرشادنا إلى أفضل طرق تحميل مختلف أنواع الآلات ذات الذكاء الصناعى للطحن والسحق .. وإلى كيفية تفريغ البقايا .. بوحدة النفايات المركزية ..

بعد ذلك تم تقسيمنا إلى فرق .. كل فريق مكوّن من أربعة علماء ومعهم سائق واثنان من الحراس المسلحين .. لتنفيذ قوانين الطوارئ .. بالقوة ..

* * *

وبينما كان أحد رجال الطوارئ يقطع بأشعة الليزر .. رُوبُوت

متوقف عن العمل .. أحرق يده .. فرشها بمادة رغوية خاصة ..

وتوجه زملاؤه إلى المتجمعين حول المكان .. آمرين إيّاهم بالانصراف ..

وسمعت أحد الحراس يقول بغضب :

ــ تذكروا أننا نقوم بتجميع الضالين والشاردين .. ممن لا يستطيعون التأقلم مع الظروف الجديدة .. دون الرُّوبوتات ..

صمت لبرهة ، ثم أردف بحدّة :

ــ لذا فمن الأفضل أن يذهب كل منكم إلى حال سبيله .. ويبقى بمنزله .. أو يؤدى العمل اليدوى المكلّف به ..

ولاحظت أن رجال الطوارئ مسلحون بمسدّسات ليزرية .. وكنت قد رأيتهم من قبل .. مرّات عديدة فى المتحف الحربى .. كما قرأت عنهم ذات يوم فى بنوك المعرفة ..

* * *

بعد أبحاث طويلة ..

توصّل العلماء إلى معرفة سبب الوباء الآلى ..

اجتمعت لجنة العلماء العليا فى قاعة (ابن سينا) ، بمبنى التقدّم العلمى .. بحضور مندوبى وسائل الإعلام ..

لخص الدكتور (كمال فوزى) كبير العلماء .. نتائج الأبحاث :

ــ بدأت فكرة اختراع الرُّوبوت .. أو الإنسان الآلى .. كما يطلق عليه البعض .. لإنجاز أعمال خطيرة لا يستطيع الإنسان البشرى القيام بها ..

كالأعمال داخل المفاعلات النوويّة فى التعامل مع المواد ذات النشاط الإشعاعى .. أو فى أثناء الرحلات الفضائية التى قد تستغرق مئات السنين ..

اتجه الدكتور (كمال فوزى) إلى شاشة كبيرة بجانبه .. وأخذ يشرح عليها :

ــ وقد تم تقليد الحواس البشرية فى الرُّوبوت .. فالعين استبدلت بكاميرا تليفزيونية .. والأذن بجهاز يعمل بالموجات فوق الصوتية .. والأنف بمجسّ حساس خاص .. واللمس بمولّد دقيق لأشعة الليزر .. أما السير وتحريك الأيدى .. فبوساطة برنامج كمبيوتر .. بحيث يتوقف الروبوت فى الحال عندما يصطدم بشىء ما .. ويمكن إعادة برمجته إذا أراد العلماء تطوير وظائفه .. فمثلًا الرُّوبوت المنزلى .. كان يطلق موجات فوق صوتية .. ويقيس البعد عن الجدران داخل المنزل .. ثم يرسم ذلك على خريطة إلكترونية يحفظها فى ذاكرته .. كما يحسب زوايا المكان علاوة على بحثه عن الطرق التى يمكن أن يسير فيها بعيدًا عن الأثاث .. أما الروبوت الصناعى .. فهو مزوّد بسلسلة من الأجهزة التى تكسبه خصائص معينة مثل تحديث الثقوب فى الأجزاء المعدنية بوساطة المجال المغناطيسى .. ومن ثم تدوير المسامير فيها .. بالإضافة إلى مجسّات خاصة تتحسّس تلقائيًا القوى والحركات فى جميع الاتجاهات ..

عاد الدكتور (كمال فوزى) إلى منصّة المحاضرات ، واستطرد :

ــ ثم قام خبراء الرُّوبوتات بتطوير نوع يتصف بقدرة على التمييز بين عدة بدائل .. واختيار أفضلها .. كما أنه يقوم بمختلف الأعمال فى وقت

واحد وبدقة بالغة .. وأطلق على هذا النوع .. الرُّوبُوتات ذات الذكاء الصناعى .. وكان أهم أجزائها .. رقاقات إلكترونية بيولوجية .. تقوم بتشغيل كل أجهزة الرُّوبوت بسرعة هائلة .. وكانت هناك حاجة لمصدر طاقة لا يشغل مساحة كبيرة .. وفى نفس الوقت .. يمكنه أن يزود كل أجهزة الرُّوبوت بالطاقة المحرِّكة .. وهكذا تم اختراع المزيج الفائق .. المكوَّن من أشعة الليزر .. وأشعة جاما .. وقد وضع هذا المزيج الفائق داخل العقل الصناعى للرُّوبُوت .. وأثبت فاعلية كبيرة .. ولكن حدث بعد فترة .. أن واجهنا الوباء الآلى .. الذى هدد حضارتنا .. بعد أن اعتمدنا على الرُّوبُوتات فى كل أنشطة حياتنا ..

صمت الدكتور (كمال فوزى) للحظات ، ثم استطرد :

ــ إن البحث عن أسباب الوباء الآلى .. استغرق مدة طويلة .. وعمل فيه ألمع خبرائنا وعلمائنا .. وأخيرًا توصَّلنا إلى الأسباب .. فى البداية أرجو أن تسمحوا لى أن أشرح ماهى (الذَّرَّة) .. من المعروف أن معظم الذَّرَّات تتكوَّن من نيوترونات وبروتونات فى النواة .. وإلكترونات تدور حولها .. وباختلاف أعداد هذه النيوترونات والبروتونات والإلكترونات يختلف كل عنصر عن الآخر ..

عاد الدكتور (كمال فوزى) مرَّة أخرى إلى الشاشة ؛ ليشرح على الفيلم المعروض :

ــ ولكن اكتشف مؤخرًا أن النيوترونات والبروتونات ليست جسيمات أوَّلية ولكن هناك جسيمات أدق منها تسمى (الكوراكات) .. فمثلًا البروتون مكوَّن من ثلاثة كواركات .. أطلق على اثنين منها (أعلى)

وواحد (أسفل) .. وعمومًا فقد أطلق على الكواركات الستة التى اكتشفت داخل النواة .. أسماء عجيبة هى .. (غريب) و(فتنة) و (حقيقة) و (جمال) و (أعلى) و (أسفل) .. واتضح للعلماء أن الكواركات هى اللبنات الأساسية للمادة ..

تمهل الدكتور (كمال فوزى) .. لينظر إلى تقرير أمامه ثم قال بهدوء :

ــ لقد أدى المزيج الفائق .. إلى تحطيم محتويات الذَّرَّة .. فتهشمت النواة .. وتفتتت البروتونات والنيوترونات .. وتفككت الكواركات .. فقد كان لمزج أشعتى الليزر وجاما .. أثره المدمِّر على لَبِنَات المادة .. ولم تعُد قادرة على الالتحام ببعضها .. وهكذا انهارت .. الكواركات .. ومعها المادة المكوِّنة للعقل الصناعى للروبوت .. وهذه هى باختصار أسباب الوباء الآلى ..

ثم أجاب الدكتور (كمال فوزى) عن أسئلة مندوبى وسائل الإعلام ..

ــ ٥ ــ

أصبحنا مرَّة أخرى تحت طائلة الطقس ..

بعد أن توقفت الآلات والأجهزة التى كانت تتحكَّم فيه ..

كان علينا أن ننهى عمليات الحرث .. قبل أن تهب عاصفة .. باردة .. ممطرة .. هذا المساء ..

أصبحنا قادرين على التنبؤ بالطقس ثانية .. باستخدام البالونات .. ولكن لم يعُد فى استطاعتنا عمل أى شىء إزاءه ..

قالت (شيرين) فى إرهاق :

ــ يبدو أن الصيف القادم سيكون قاسيًا .. وحارًّا .. وجافًّا ..

وانطلقت بمحراثها اليدوى ..

أخذت أرقبها لبرهة ثم طأطأت رأسى تعبًا .. وغفوت ..

أيقظنى رئيس العمال معتذرًا :

ــ حان وقت العمل ..

فركت عينى .. وتطلعت إلى المنطقة التى كانت من قبل .. الحديقة الكبرى ..

أين ذهبت الأشجار والزهور .. والطيور؟.

كان علينا أن نحرث كل هذه المساحة .. قبل نهاية اليوم ..

تخيّلت الحديقة الكبرى .. مخضرة .. مزدهرة .. مثمرة .. تمامًا .. كما كانت فى ذاكرتى ..

ومضة من بقايا الأيام السعيدة .. الماضية ..

إن الأمر سيستغرق منا سنوات طويلة .. قبل أن نعود إلى ما كنّا عليه .. خاصة وأن نصف الناس عاجزين عن مواجهة عالم جديد .. بدون آلات الذكاء الصناعى ..

عالم لايتم فيه العمل .. إلا يدويًا ..

وبرغم أننا عرفنا سبب الوباء الآلى ..

إلا أن إعادة بناء آلات أخرى .. دون استخدام المزيج الفائق .. من أشعتى الليزر وجاما .. سيأخذ منا وقتا طويلا جدًا .. ومجهودًا خارقًا ..

لن ننسى بسهولة ما رأيناه يحدث لحضارتنا الآلية ..

لقد تركتنا الرُوبُوتات بمفردنا .. فى عالم نهاية القرن الحادى والعشرين .. لن ننساها ..

وسوف نعمل على استعادتها من جديد ..

أشارت لى (شيرين) من بعيد .. لكى ألحق بها ..

أحسست فجأة بالأمل من جديد .. وأنا أرى جسمها الطويل .. القوى .. ينحنى على المحراث اليدوى .. بعزم وتصميم ..

تسلقت إلى مقعد قيادة الجرار الصغير .. الذى تعمل أجزاء توجيهه .. وقيادته .. بالأسلاك .. والتروس .. والصواميل .. التى لاتمتلك الذكاء الصناعى .. ولا حتى وحدات المنطق الإلكترونية .. بدأت فى قيادة الجرار .. مستخدمًا قدمى .. واضعًا يدى على المحراث .. وواصلت المسير .. فى اتجاه (شيرين)

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

الحب فى القرن الحادى والعشرين

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

فى مساء ذلك اليوم من شهر يونيو عام ٢٠٢٠

وقف صاروخ شامخ على قاعدته بمركز الفضاء بمدينة الأقصر ..

كانت تزينه أعلام كل الدول العربية ..

كان هذا الصاروخ المسمّى (الوحدة) يحمل أول سفينة فضاء عربية (ابن ماجد) .. وبها رائدان فى رحلة إلى أعماق الكَوْن ..

وقد سبقت هذا اليوم العظيم .. عدة تجارب لإطلاق أقمار صناعية عربية ..

وتُوِّجت هذه التجارب بإطلاق أول رائدين عربيين إلى الفضاء ..

شاب وفتاة .. اختيرا من بين آلاف المتطوعين لهذا العمل الجليل ..

خدمة لمستقبل العرب .. فى القرون القادمة ..

— ١ —

وقف (ماجد) — أول رائد فضاء عربى — يرنو من خلال نافذة المختبر الذى تجرى به التجارب قبل الإنطلاق إلى الفضاء ..

تطير نظراته إلى الضفة الغربية من النيل مقابل الأقصر .. حيث ترتفع نحو السماء سلسلة من الصخور الحادَّة .. تبدو بلون أرجوانى غامق ..

وحيث يتصل السهل بالشاهق الصخرى .. يقوم أجمل معبد فرعونى فى مصر .. ليخلد ذكرى ملكة مصر القديمة .. (حتشبسوت) .. وقد عطى بالبلاستيك الشفاف .. لحمايته من الظروف الجوية المتغيرة فى القرن الحادى والعشرين .. بسبب التلوُّث .. زيادة نسبة غاز ثانى أكسيد

الكربون فى الجو .. وتأثير الأمطار الحمضية ..

وبرغم سعادة (ماجد) بكل ما يراه .. والرحلة المقبلة ..

إلا أن نفسه كانت تفيض بحزن عميق ..

ويرجع هذا لأن (لمياء) — زميلته فى رحلة الفضاء — قد رفضت حبه بالأمس .. عندما صارحها بما يعتمل فى نفسه من شعور .. بعد أن دامت معرفتهما شهرًا كاملًا فى مختبر الفضاء .. تجارب انعدام الوزن .. ومواجهة الطوارئ .. وإجراء التفاعلات الكيميائية فى حالات عدم وجود جاذبية ..

إن (ماجد) يذكر جيِّدًا ما قالته (لمياء) له وهما يتدرَّبان على الكمبيوتر الضوئى .. كانت تتكلم بحدَّة بالغة :

— كيف تحدثنى عن الحب .. ونحن على أبواب القرن الحادى والعشرين؟.

قال لها وهو ينظر إلى عينيها الزرقاوين فى دهشة .. يحاول أن يستشف شيئًا :

— عفوًا .. لم أفهم تمامًا ماذا تعنين ؟.

نظرت إليه فى تحدٍّ .. وقالت بسرعة :

— أعنى أنه لا مكان للحب اليوم .. ونحن فى قمة التطور .. بل يجب أن نلقى كل اهتمامنا .. ونكرِّس كل وقتنا للعلم .. فقد بلغ التقدم العلمى والتكنولوجى ذِرْوَته .. وانتشرت الاختراعات النافعة فى كل مظاهر الحياة ..

تمهلت للحظات لتلتقط أنفاسها :

ــ مجرّد حقنة من مصل الشفاء .. تقى الإنسان لمدة خمس سنوات من كل الأمراض .. وهكذا طال عمر الإنسان حتى بلغ متوسطه تسعين عامًا.. وتم بفضل الجراحة الحديثة بالليزر وباستخدام الكمبيوتر الضوئى .. إزالة الذكريات الحزينة التى قد تؤلم الإنسان فى حياته .. والتطوُّر الذى حدث فى الإنسان الآلى .. و ..

قاطعها وقد نفد صبره :

ــ كفى .. أو ترينى غير مدرك للتطوُّر العلمى والتكنولوجى الهائل الذى حققه الإنسان فى العشر سنوات الماضية ؟.. ولكن العالم يعيش فى دنيا تحكمها الآلة بلا عواطف ..

صمت للحظات ، ثم همس :

ــ إن سعة العلم زادت فى وجوم الإنسان واضطرابه .. وهو يكره ويحب .. وبين الكراهية والمحبة يتأرجح .. لايعرف أن بالحب وحده .. يمكن أن يسُود السلام فى العالم ..

ترفع (لمياء) يدها بعفوية إلى شعرها الذهبى .. وترمقه بعينيها الزرقاوين .. الشديدتى الصفاء .. النفاذتين .. الآسرتين ..

وتلتقى نظراتهما ..

يتأملها مليًا ، ثم يهمس فى صدق :

ــ (لمياء) .. إنى أحبك ..

أشاحت بوجهها عنه .. فتألّق شعرها الذهبى ..

قالت فى غضب :

ــ أرجوك .. دعنا لانتحدّث فى هذا الموضوع مرّة أخرى !.

ــ ٢ ــ

جلس (ماجد) حزينًا بجانب الكمبيوتر ..

يشعر بأنه يتضاءل .. فقد كانت عيناها قاسيتين .. ساحرتين .. برغم جمالهما ..

الغرفة شبه مظلمة ..

وصوت الكمبيوتر كمطارق تهوى على أعصابه .. يحس بأنه يكاد يختنق ..

كان يودُّ أن يشكو لشخص ما .. لشىء ما ..

فتح قناة التحدُّث مع الكمبيوتر ..

وقال بصوت هامس :

ــ إنى حزين ..

أضاءت بعض اللمبات الملوّنة .. ثم انطفأ بعضها وظل البعض الآخر .. يُومض ..

ارتفع صوت آلى أجش .. عميق :

ــ ماذا بك؟.

أجاب (ماجد) وهو شارد الذهن :

ــ لقد رفضت حبى ..

أخذ يتحدَّث لعدّة دقائق عن (لمياء) .. وكيف عاملته عندما اعترف بحبه لها ..

بمجرّد أن انتهى (ماجد) من حديثه ..

أخذت كل اللمبات تُومضُ فى لحُفوت .. أما قرصاه الكبيران فقد توقفا .. بعد أن استوعب الكمبيوتر كل المعلومات ..

تنهد (ماجد) وقد اختلج صوته :

ــ والآن .. ماذا أفعل؟.

مرّت ثلاث ثوانٍ .. قبل أن يجيب الصوت الآلى .. الأجش .. العميق :

ــ استخدم أسلوبًا يناسب العصر القديم .. اكتب لها خطابًا !.

شعر (ماجد) بشىء من الرهبة لايدرى مبعثه ..

سأل الكمبيوتر متهيبًا :

ــ ولكنى لا أعرف كتابة الخطابات الغرامية .. فهذه عادة قديمة انتهت منذ حوالى ربع قرن ..

جاءت الإجابة من الكمبيوتر .. سريعة .. حاسمة :

ــ سأملیه علیك ..

فكّر (ماجد) قليلًا ، ثم قال فى ضعف :

ــ سأجرب .. هذا الأسلوب ..

وصمت لحظات ، ثم قال :

ــ ابدأ ..

بـــــدأ الصوت الآلى الأجش . العميق .. يملى الخطاب فى بطء :

ــ (لمياء) .. هل القوة أن نأخذ الحياة على غير صورتها هربًا من الواقع .. وأن نعانى الآلام فى حين كل ما يحيط بنا

يدفعنا للسعادة ؟.. كلّا .. إنما القوة أن نتمكّن من فهم الحياة على حقيقتها .. ونشعر بالأحاسيس النبيلة كما هى .. حتى لو كانت هذه الأحاسيس تحمل فى طياتها الضعف .. ولكنها طريقنا إلى السعادة ..

استمر (ماجد) فى كتابة الخطاب الطويل حتى النهاية .. التى قال فيها الكمبيوتر الناطق :

ــ ما الحب إلا أن تتلاقى القلوب مع الأحلام .. والآمال .. فما دمت أحبك .. حتى لو بعدت عنّى .. فأنت على الدّوام معى .. مكانك فى أعماق قلبى ..

ــ ٣ ــ

احتضنت (لمياء) رأسها الصغير بيديها الناعمتين ..

نظرت إلى مافى يدها اليمنى ..

إنه الخطاب الجديد الذى يكتبه لها (ماجد) كل يوم .. ولا يتحدّثان عنه فى أثناء التجارب .. حتى إذا عادت إلى غرفتها الخاصة .. وجدته فوق مكتبها ..

هذا هو الخطاب الخامس ..

استمرت فى القراءة بصوت هامس مُفْعَم بالرّقة :

ــ أنا وإن جفانى النوم أبدو كالحالم .. تتفتح عيناى على طيفك فأخف إليك .. وأتخيّلك إلى جوارى فأشعر بسعادة غامرة .. لقد أصبحت جزءًا من كيانى .. ذوبًا يجرى فى عروقى .. ودمى .. إننى اليوم أودّعك ولم يحن لقلبينا لقاء .. هذا هو خطابى الأخير .. وداعًا ..

رفعت عينيها عن الخطاب بعد أن قرأته عدة مرّات ..

لقد غيّرتها هذه الخطابات الخمسة إلى حدٍّ كبير ..

كم هو رقيق وهو يبثها شعوره الصادق .. النبيل ..

اتضحت لها الحقيقة .. كستار أزيح فجأة .. فظهر ضوء الشمس الباهر ..

إنها وحيدة .. برغم نجاحها كرائدة فضاء .. شيء ما ينقصها ..

تحس بالحَيْرَة .. ويقلقها ذلك الخط الواهى .. الذى يبعدها عن الناس .. ويشدها إلى عالم بعيد ..

تضج فى سُكُونها .. أفكار غريبة .. عجيبة ..

لقد اتخذت من العلم حياة لها .. انبهرت بالتقدم العلمى ..

كانت مثل عصفور جريح .. يقاوم إصابته بمنقاره .. فيتسع الجرح .. وينزف الدم أكثر ..

رأته فى اليوم التالى ..

كان يراجع بعض التقارير بجانب الكمبيوتر الناطق ..

قالت بصوت مُفْعَم بالحنان :

(ماجد) !.

نظر إليها فى دهشة .. فلأول مرَّة تناديه باسمه مجرَّدًا :

ــ أشكرك .. من أجل الخطابات ..

نظر إليها فى شغف وسعادة ..

أما هى .. فشيء جديد فى عينيه يناديها ..

عالم جديد فى ألوانه يدعوها لزيارته ..

هدوء غريب .. ينبع من نفسها .. من أعماق ذاتها ..

لقد اكتشفت أخيرًا .. ذلك الفرق الكبير بين الذين يمارسون الحياة بلحظاتها .. بواقعها .. والذين يمارسونها من بعيد ..

ــ ٤ ــ

فى المساء السابق على الرحلة التاريخية ..

كان الصاروخ (الوحدة) وسفينة الفضاء (ابن ماجد) .. يقفان منعزلين ..

. وقد تسلطت عليهما الأنوار الكاشفة ..

وحولهما العلماء العرب يجرون الترتيبات النهائية .. فحص الوقود .. الكمبيوتر .. التوصيلات الإلكترونية .. أجهزة الاتصال .. آلات الليزر ..

وعدد من الصحفيين والمصورين من جميع أنحاء العالم .. يتابعون الحدث الكبير ..

وقريبًا من مكان الصاروخ وسفينة الفضاء .. كان مبنى المراقبة والتحكُّم .. وفيه أجهزة المتابعة .. والعلماء يستعدون للقيام بالعد التنازلى ..

وقفا فى شرفة مختبر الفضاء ..

ينظران إلى ناطحات السحاب المتألّقة فى مدينة الأقصر ..

التفت (ماجد) إلى لمياء .. وغرق للحظات فى العينين الزرقاوين المتألقتين .. وقال فى همس .. بصوت مُفْعَم بالسعادة :

ــ انظرى يا (لمياء) .. ما أروع نجومنا !. وما أصفى سماءنا .. ثم تمم فى شرود :

ــ ما أضيق الأرض !. إننى سعيد بالانطلاق إلى الفضاء غدا .. أشعر أن السماء تنادينا ..

تتأمّله فى حنان :

بالحب يمكن أن نُوجّه العلم لصالح البشرية .. ليسُود به السلام فوق الأرض ..

نظر إليها .. وشعر بأن خيوط الأمل الرفيع تتجاذب مع الذكريات :

ــ (لمياء) .. أحبك ..

ردّت عليه بنفس الرّقة .. والعذوبة :

ــ الآن .. ابتدأ عمرى ..

تلاقت نظراتهما .. فتألقت العيون ..

ونبت أمل جديد للبشرية ..

وبدأ الحب فى دفء يدين تشابكتا ..

وبدت النجوم فى الفضاء كملايين الشموع .. تزف السلام .. إلى القرن الحادى والعشرين ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

وتبقى النجوم خالدة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

كانت تبدو كمحطات فضاء صغيرة فى عمق الفضاء ..

إنها الأقمار الصناعية الضخمة .. التى تدور على أبعاد مختلفة من كوكب الأرض ..

وقد خصصت لإيواء كبار السِّن الذين يرغبون فى قضاء سنواتهم الأخيرة فى مكان صحّى .. بعيدًا عن كوكب الأرض ..

كانت كل من هذه المحطات الفضائية تتسع لشخص واحد .. مجهزة بكل ما يحتاجه الإنسان ..

قال له الإنسان الآلى .. عند إقناعه بالذهاب إلى إحدى دور التقاعد الفضائية :

ــ ستجد السلام والراحة فى سنواتك الأخيرة .. بعيدًا عن أرض القرن الحادى والعشرين المكتظة بالسكان .. المليئة بالتلوُّث .. المهدَّدة بالحروب والمجاعات والأوبئة ..

صمت الإنسان الآلى قليلًا .. ثم أردف بعد لحظات :

ــ لقد رحل كل أقربائك وأصدقائك .. ستجد فى دور التقاعد الفضائية من يسهر على خدمتك .. الطعام شهى وصحّى يناسب سنك .. المكان نظيف دائمًا .. مزوَّد بتليفزيون وفيديو مجسَّم ينقل لك كل برامجك المفضلة .. ولا تقلق على صحتك .. فهناك آلة طبية إلكترونية .. تكشف عليك فى مواعيد محدَّدة .. وتحضر لك الدواء الشافى ..

أشار الإنسان الآلى إلى شاشة بالقُرب منه .. أضيئت فجأة وظهر عليها فيلم مجسم ، ثم أردف :

ــ وعمومًا فإن الجاذبية الضعيفة فى دار التقاعد الفضائية لا ترهق الجسم .. بعكس جاذبية كوكب الأرض .. وهكذا تصبح دورتك الدموية .. والتنفسية .. فى حالة أفضل .. فتعيش طويلًا .. وسعيدًا .. ماذا تريد أكثر من هذا .. إنه حُلم كل إنسان ..

ــ ١ ــ

أيقظته الموسيقى الهادئة .. وقال له صوت نسائى ناعم :

ــ طاب صباحك .. حان وقت الاستيقاظ ..

استوى جالسًا على فراشه الوثير المجهَّز بحشية مائية ..

دلَّك عينيه بقبضتى يديه .. وتمنَّى لو استطاع أن ينام ساعة أخرى ..

أخذ يفكر .. إنه عندما يشيخ الإنسان .. تنتابه الحيرة .. فهو لايعرف حقوقه وحتى لو عرفها فليس لديه الشجاعة للمطالبة بها :

ــ أسرع بارتداء ثيابك الجديدة .. ثم تناول طعام الإفطار ..

إنه لا يحب الثياب الجديدة التى تقدم له صباح كل يوم .. فالراحة الحقيقية فى ارتداء الملابس القديمة ..

ولكنه كان يعلم أنه لا فائدة من الجدَل .. فقد كان لهم دائمًا ما يريدون ..

تحرَّك ببطء نحو المائدة الصغيرة ..

وتمالك فوق المقعد الضخم ..

وأخذ يحدِّق فى فنجان القهوة السوداء .. وطبق البيض المقلى .. وأدوات المائدة ...

أفاق على صوت الكمبيوتر المتكلم .. خدعة للتخفيف من وحدته .. بصوت أنثوى ناعم :

ـ تناول شوكتك وابدأ فى الأكل .. إنه إفطارك المفضل ..

شعر أنها تعامله بقسوة كما لو كان طفلًا .. وهو لن يستطيع أن يراها أبدًا ..

ربما كانت مجرّد خيال يسرى .. ولم يجهد ذهنه فى البحث عن الحقيقة ..

لعله فقد حب استطلاعه .. للأبد ..

ـ ٢ ـ

انتهى من إفطاره ..

غسل وجهه .. وارتدى ملابسه النظيفة .. وجلس ينتظر ..

سمع الصوت الأنثوى .. الكريه :

ـ ماذا نفعل الآن ؟. يمكننى أن أقرأ لك .. أو أعزف لك بعض الموسيقى .. أم لعلك تريد أن تلعب الشطرنج ؟.. أم تريد أن ترسم؟. إن سجلك الشخصى يقول .. إنك رسام ماهر ..

قال فى ملل ظاهر :

ـ ماذا أرسم؟.. ليس هناك أشجار ولا زهور .. لا سماء ولا سحب .. لا بحر .. لا بشر ..

تساءلت فى دهشة :

ـ هل يجب أن ترى الأشياء حتى ترسمها؟..

صمتت للحظات ، ثم أردفت :

ـ يمكنك أن ترسم من الذاكرة .. تساءل بينه وبين نفسه :

ـ ربما أستطيع .. ولكن كيف يمكننى أن أرسم الوحدة والعذاب؟.

أثر الصمت ..

فهو يناقش كمبيوتر يحوى فى ذاكرته الإلكترونية .. وذكائه الصناعى .. أفكار وآراء علماء الاجتماع والنفس فى القرن الحادى والعشرين .. وبرغم هذا العصر الذى تميّز بالآلات ذات الوحدات المنطقية .. إلا أنه أحس بضآلته .. وهو يناقش كتلة من الحديد والبلاستيك وأشعة الليزر ..

عاد الصوت الأنثوى يجادل :

ـ حيث إنك لاتريد أن تفعل شيئًا اليوم .. فانظر ..

قاطعها بصوت مُفعم بالحزن .. ودموعه تتساقط بالرغم منه :

ـ ليس هناك ما أنظر إليه ..

أجابت فى رقّة :

ـ كيف تقول هذا؟.. انظر إلى الفضاء .. هناك دائمًا النجوم الخالدة ..

نظر من بين دموعه .. خلال الكوة الزجاجية ..
إلى النجوم المتألقة أبدا ..
وأحس براحة .. لأول مرّة فى هذا اليوم ..
وهو ينظر إلى تلك القلوب المضيئة النابضة فى الفضاء ..
وبرغم عذابه .. ووحدته ..
شعر بشىء من السعادة ..
وكل هذه النجوم .. تحيط به ..
ولم يشعر بالوحدة ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

المارد المعدنى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

— ١ —

المارد المعدنى العملاق يخطو أولى خطواته فوق الأرض ..

أول إنسان آلى يسير فوق التلال الخضر .. وأشعة تنعكس على بشرته المعدنية الرمادية اللامعة ..

كان يسير برشاقة تغلب عليها الخُيلاء .. حقًا إن صوت أقدامه لايكاد يسمع .. ولكن الأرض كانت تهتز اهتزازًا خفيفًا .. تحت ثقل هذه الكتلة الضخمة .. بل إن الهواء سرت فيه رعدة من تلك الآلة العملاقة التى كانت تنبض وهى تخترقه ..

كانت واضحة تلك الرشاقة فى التصميم والتركيب المثاليين .. ثقل وقوة .. وطول بلغ مترين ونصف المتر .. عيناه مروعتان .. تتوهجان كأنما بنار داخلية تتأجج بفعل الذرّات المشعة .. كانتا تستطيعان أن تريا فى أى مدى بوساطة ذبذبة يصدرها من أشعة الليزر ..

لقد بناه العلماء على شكل الإنسان .. ولكنهم كانوا من الحرص بحيث إنهم لم يعطوه وجهًا مميّزًا ..

كانت هناك العينان المتألقتان بمآقيهما مع إمكان تزويدهما بعدسات إضافية إذا استدعى الحال رؤية ميكروسكوبية أو تلسكوبية .. وأيضًا بعض الفتحات الصغيرة الأخرى الحسّية والصوتية ..

ولكن فيما عدا هذا .. كان رأس المارد المعدنى قناعًا من المعدن

الرمادى اللامع ..

كان أشبه بالإنسان .. ولكنه لم يكن إنسانًا ..

لقد عاش لزمن طويل فى حُلم الإنسان .. فى أساطيره ..

إنه الكائن العجيب الذى يمكنه أن يخدم .. أو ليهدم بقوة خارقة ..

أخذ يسير تحت سماء صيف صافية .. وفوق حقول فاضت عليها أشعة الشمس .. مخترقًا بساتين صغيرة ترقص وتتهامس فى النسيم المنعش .. النقى من أى تلوّث .. أو جراثيم ..

كانت المنازل البيضاوية البلّورية مبعثرة هنا وهناك .. تلك هى مساكن القرن الثانى والعشرين التى تدار إلكترونيًا بوساطة كمبيوتر هائل .. المعرفة ..

وفيما وراء الأفق .. تبدو المصانع الضخمة التى تحوّل الطاقة الشمسية إلى قوة كهربائية بوساطة خلايا كهروضوئية مُدمجة ..

كان هناك أيضًا بعض الرجال والنساء والأطفال .. لوحتهم الشمس .. يؤدون مهامهم بثياب متألّقة فضفاضة تتطاير فى الهواء النقى ..

ويبدو أن البعض كان يعمل .. رسامًا يقوم بتجربة فى تآلف الألوان .. وملحقًا يجلس فى حديقة منزله يعزف على الأورج الإلكترونى .. وعجوزًا قد اضطجع فى فراشه الهزاز ومعه كتاب .. عاشقان يتبادلان كلمات الحب الهامسة .. مجموعة من الأطفال فى لُعبة من ألعابهم القديمة قدم الأزل والتى تناسب أعمارهم ..

لقد كانت الآلات تقوم بكل العمل ..

أما الجنس البشرى ــ فى القرن الثانى والعشرين ــ فقد كان يعيش حياة رغدة..

كانوا يرون الإنسان الآلى يمر.. وكثيرًا ما شعر راداره الإلكترونى بالنبضات.. التى تعنى العصبية وعدم الراحة البسيطة..

وبالرغم من أنهم كانوا يثقون بهؤلاء العمالقة الآليين.. ولم ينظروا إليهم كوحوش مفترسة.. إلا أنهم راحوا يتساءلون عن أول تجربة فى العالم لترك إنسان آلى دون رقابة.. حرية كاملة فى الحركة..

شعروا بالخوف الإنسانى البدائى من الغريب والمجهول.. وفى أعماق عقولهم تنبثق أسئلة تحيِّرهم..

ما الذى ينويه الإنسان الآلى ؟

وما تأثير هذا الجنس المعدنى الذى لا يقهر.. على الجنس البشرى ؟

بمجرّد أن اختفى الإنسان الآلى بطوله الفارع.. وراء التلال الخضر.. ضحكوا..

ربما ليخفوا قلقهم.. وعادوا لحياتهم السعيدة..

واستمر الإنسان الآلى فى تقدمه..

— ٢ —

جلس حزينا فى المطعم الآلى..

كان عليه أن يسلم نفسه إلى مركز التأمل والعلاج النفسى.. فقد اكتشف جهاز القياس العقلى أن معدل صحته النفسى قد انخفض إلى حدٍّ خطير.. آلة أخرى تصدر حكمًا عليه.. وتجعله يائسًا من الحياة..

آلة.. مجرّد آلة.. قطع من الحديد.. مسخ معدنى..

يقولون إن هذا المركز قائم لعلاج البشر من الأمراض النفسية التى يصابون بها نتيجة كثرة تعاملهم مع الآلات بكافة أشكالها.. والتى أصبحت تقوم بكل العمل..

ولكن لم يخرج من المركز أى شخص حيًّا..

إنه منفى لا فرار منه.. فالشخص الذى لا يستطيع التأقلم مع الآلات فى القرن الثانى والعشرين.. لا يستحق الحياة..

خطر بذهنه أن الجنس البشرى لم يتغير فيه شىء منذ فجر التاريخ.. ربما أصبح الكهف أكبر حجمًا.. وأشد تألُّقا.. وحجر الصوان أكثر جودة.. ولكن الإنسان نفسه.. ليس أكثر قوة.. أو أشد صلابة..

* * *

لفتت نظره ومضة قوية.. لامعة..

نظر بسرعة من خلال الباب الزجاجى للمطعم الآلى..

ثم تراجع فى ذُعر حتى سكب محتويات كأسه..

تمتم فى رُعب :

— ياإلهى.. إنه الإنسان الآلى.. الإنسان الآلى..

نهض.. ودار حول نفسه محاولًا أن يرى بوضوح من خلال الباب.. ثم نظر إلى الجالسين فى المطعم.. أحس أنهم يتجاهلونه تمامًا..

قال فى عصبيَّة :

— انظروا.. إنه الإنسان الآلى.. الخطر الداهم.. لقد بنوه منذ ثلاث

سنوات فى مصنع الإلكترونيات.. وهو أشبه بالإنسان.. بعقل صناعى ووحدات منطق..

عاد يهمس لنفسه :

ــ أشبه بالإنسان.. ولكنه يتفوّق عليه..

كان العملاق المعدنى الضخم يتألّق.. وهو يخطو عبر الحدائق فى رحلة إلى المجهول..

أخذ يصرخ فى مرارة :

ــ ألا ترونه.. إن الإنسان من لحم ودم لم يعُد كفئًا لعالمنا الجديد.. المتطوّر.. عالم القرن الثانى والعشرين.. لقد أقاموا هذا المسخ الآلى ليحل محل الإنسان.. لم ينبس أحد من الجالسين ببنت شفَة.. حتى أنهم لم ينظروا إليه.. تعثرت فى فمه الكلمات..

ثم صرخ محتدًا.. بقمة انفعاله :

ــ إننا معشر سكان الأرض نشترك فى رذيلة واحدة.. هى أننا نأخذ ما يعطى لنا.. سواء كنا بحاجة إليه أو لم نكن.. أيها الأغبياء.. الخطر هناك فى الخارج.. وأنتم جالسون كالتماثيل.. إن الإنسان زهرة الخليقة وأنبل ما فى الوجود.. ينزلق إلى الظلام.. إلى حفرة لاقرار لها..

ارتفع صوته أكثر.. وجسمه كله يرتجف :

ــ ولكنى لن أنحدر.. دون أن أقاتل..

* * *

نفذ بسرعة من خلال الباب الزجاجى الذى فتح إلكترونيًا..

رأى الإنسان الآلى الشاخ فجأة..

بدا كأنه احتوى كل ما كان السبب فيما حدث له.. شعر بكراهية شديدة له ..

أخذت تؤلمه بعُنف وكأنها تشق جمجمته..

صرخ قائلا :

ــ استدر.. استدر وقاتل..

توقف الإنسان الآلى.. واستدار ببطء..

التقط الرجل حجرًا ورماه به.. فارتطم الحجر بالـذراع الصلب بصوت مكتوم..

اندفع إلى الإنسان الآلى.. وهو يسب ويلعن.. ركل بحذائه.. وضرب بيديه كل ما استطاع أن يصل إليه من جسم المارد المعدنى.. ولكن دون جدوى..

قال الإنسان الآلى.. بصوت معدنى أجش :

ــ كفى.. وإلا أصبت نفسك بأذى..

تراجع الرجل وهو يلهث.. من ألم فى جسمه.. ومن عجزه..

قال بصوت مُفعم بالألم :

ــ أعلم أننى أضعف من أن أوذيك.. ولكن كيف يمكنك أن تعرف أحلام الإنسان الآدمى ؟.

ردَّ عليه الإنسان الآلى .. بدهشة :

ــ لا أستطيع أن أفسّر تصرُّفك هذا .. إنه أمر غريب .. فالبشر كلهم سعداء ..

اندفع الرجل يقول بصوت مُفْعَم بالسُّخرية :

ــ ولِمَ لا !. إن الآلات تستولى على كوكب الأرض كله .. وتجعل من الإنسان الآدمى مجرّد نبات طفيلى .. أنتم سبب تعاستنا ..

اهتز الصوت المعدنى العميق .. بشىء أشبه بضحكة سُخرية :

ــ اعلم أنه ليست لى نوايا عدوانية .. فقد تم تصميم ذاكرتى الإلكترونية على أساس استبعاد هذه النوايا نهائيًا.

توقَّف لعدة ثوان ، ثم استطرد قائلًا :

ــ ولا حاجة بى لقتال أحد .. فابتعد عنّى.

كان من الغريب حتى فى عالم اعتاد الآلات التى كادت أن تدب فيها الحياة .. أن يقف يجادل كتلة متحرّكة من المعدن والبلاستيك والطاقة الذرّية وأشعة الليزر ..

دهش الرجل لهذا وأدرك كم هو منفعل .. ولكن كان من الضرورى أن ينفث حقده .. ويأسه .. وأن ينطق كلمات قد تخفف من حدّة التوتُّر الذى يشعر بأنه ينفجر داخله ..

لقد هدمت هذه الآلات كل حياته .. أفقدته كل المعانى النبيلة .. الحب .. الصداقة .. الحرية .. السعادة ..

قال الرجل مجادلًا :

ــ ولكنكم ستستولون على كوكب الأرض.. كلما زاد عددكم.. وعندما تبدأ قوتكم الخالية من الشعور..

قاطعه الإنسان الآلى بحدَّة :

ــ من أدراك أننى خال من الشعور ؟.إن عالم نفسى لابُد أن يقول لك إن الشعور وإن لم يكن بالضرورة من النوع الإنسانى.. فهو أساس الفكر.. وأنا أمتلك ذكاء صناعيًا..

تلعثم الرجل ، ولكنه عاد يقول بغضب :

ــ لا يهمنى أن تشعر أو لا تشعر.. ولكن المهم أنك المستقبل.. المستقبل الذى لا معنى له.. عندما يصبح الإنسان الآدمى لا قيمة له.. كما أنا الآن..

صمت لحظات ليلتقط أنفاسه ، ثم استطرد قائلًا :

ــ لهذا فأنا أكرهك.. وأسوأ مافى الأمر أننى لا أستطيع التخلُّص منك..

وقف الإنسان الآلى كتمثال للآلهة القدماء.. ولكن صوته اهتز فى الهواء الساكن :

ــ إن حالتك نادرة.. قد انحدرت إلى الظلام بسبب التكنولوجيا المتقدمة.. ولكن لاتقارن نفسك بكل الجنس البشرى.. إنك تفكر بطريقة خاطئة.. سيكون هناك دائمًا رجال يفكرون.. ويحلمون.. ويواصلون تنفيذ كل ما أحبه الإنسان.. إن المستقبل لكم أيها البشر.. وليس للآلات..

نظر الرجل إلى الإنسان الآلى.. وكأنه كائن من عالم آخر..

استمر الصوت المعدنى العميق :

ــ يدهشنى أن رجلًا فى مثل ذكائك لا يدرك هذا الأمر.. أى نفع من إنسان آلى ؟.. فما أن تقدم العلم حتى استطاع العلماء بنائى.. آلة متخصصة

لمعاونة الإنسان الآدمى على أداء الأعمال الخطرة.. فى غرفة بها إشعاع ذرّى.. رحلة إلى الفضاء تستغرق مئات السنين..

قاطعه الرجل :

ــ إننى أدرك كل هذا..

أكمل الإنسان الآلى حديثه :

ــ إن الفنانين والمفكرين وصانعى السلام لا يحتاجون إلى الإنسان الآلى.. فهم يحددون أهداف الإنسان الآدمى.. ويحلمون أحلامهم..

أجابه الرجل فى حزن :

ــ إنك لا تقول الحقيقة..

تحدّث الإنسان الآلى.. بذلك الصوت المعدنى العميق.. مؤكّدا :

ــ أيها الإنسان.. لقد صنعت فقط للدراسة العلمية.. وبعد بضع سنوات.. لن يكون لى أى غرض آخر.. فيسمحون لى بأن أتجوّل.. لا أوذى أحدًا.. لا هدف لى.. ولا معنى.. وإنما الهدف أن أظل أعمل شيئًا.. ليس لى صديق.. ولا مكان فى المجتمع البشرى.. إننى وحيد.. أتظن أنى سعيد ؟..

دار الإنسان الآلى على عَقِبَيْه لينصرف..

كان يبدو وهو يصعد التل القريب.. كشبح عملاق يتجه إلى الفضاء..

تهالك الرجل فوق العشب وشعر بأنه أصبح وحيدًا.. فى عُزلة مخيفة.. ضائعًا.. مخلوقًا مغلوبًا على أمره . يبحث عن بقية ضئيلة من هدوء النفس..

علقت فى ذهنه الكلمات الأخيرة التى ألقى بها الإنسان الآلى..

كان صداها لا يزال يتردّد فى أذنيه ويملأ الفضاء من حوله.. ويعطيه بعض القناعة التى حرم منها طويلًا :

ــ أيها الإنسان.. كم أنت سعيد الحظ.. لأنك تستطيع أن تحب.. وتكره.. وتتألم وتسعد.. ثم تنسى..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

مغامرة فوق كوكب المشترى

(عن قصة لإسحق عظيموف)

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
٢٠ ش سلطان الإسلام - القاهرة - ت ٩٠٥٥٥٠

انسابت سفينة الفضاء كطائر خرافى هائل.. تاركة الغلاف الجوّى للأرض.. ثم عَبَرت حاجز الكويكبات الذى يتكوّن من كتل من الصخر خالية من الهواء.. والحياة.. ويمتد عَبْر حوالى خمسمائة مليون كيلومتر.. من مدار كوكب المريخ حتى مدار كوكب المشترى..

استمرت السفينة فى طريقها.. تخترق ملايين الكيلو مترات من الفراغ.. إلى أعماق الكَوْن..

كانت هذه أول رحلة استكشافية من نوعها فى تاريخ كوكب الأرض..

ففى عام ١٩٩٢ ــ أى منذ ثلاثين عامًا ــ تم التقاط إشارات غامضة صادرة من كوكب المشترى .. أمكن لعلماء الفلك بعد فترة فك رموزها باستخدام الكمبيوتر الحديث الذى يعمل بسرعة الضوء ..

واتضح لهم وجود كائنات عاقلة فوق ذلك الكوكب الهائل الغامض .. أو كما يطلق عليه ..عملاق المجموعة الشمسية ..فهو أكبر الكواكب التسعة التى تدور حول الشمس ..فيبلغ قطره حوالى ١٤٢٨٠٠ ألف كيلومتر عند خط الاستواء .. أى ما يقرب من عشرة أمثال قطر كوكب الأرض ..

ويتحرّك حول الشمس بسرعة ١٣ كيلومترًا فى الثانية .. ويتم دورته حولها فيما يقرب من اثنتى عشرة سنة من سنواتنا الأرضية .. ويبلغ بُعد كوكب المشترى عن الشمس حوالى ٧٧٨ مليون كيلومتر ..

تمكّن علماء الفلك من الرد على رسائل سكان كوكب المشترى .. بنفس الشفرة المستخدمة ..ومن ثَمّ أمكن خلال عدة سنوات إيجاد نوع من الرموز المتفق عليها للتفاهم بين البشر ، وسكان المشترى ..

ومنذ عشر سنوات شعر علماء الفلك بأن سكان المريخ يدبّرون شيئًا .. لسكان كوكب الأرض ..

كان هذا يبدو واضحًا من أسلوب التهديد .. والتعالى الذى أصبح يميّز رسائلهم .. ثم عدم الاكتراث بالرد على تساؤلات علماء الفلك .. حول الحياة ونوعها ..فوق كوكبهم العملاق ..

* * *

اجتمع علماء الفلك فى العالم كله ..يوم ٦ سبتمبر عام ٢٠١٣ ، فى أثناء انعقاد المؤتمر الدولى للفضاء .. لكشف غموض تصرُّفات سكان المُشترى ..واستقر الرأى على تصميم سفينة فضاء يتعاون فى بنائها وتمويلها جميع الدول .. وذلك بهدف القيام برحلة استكشافية إلى ذلك الكوكب الهائل .. ومحاولة تعرُّف ما يدبره سكانه .. ولكن الصعوبة التى واجهت العلماء .. هى عدم إمكان هبوط إنسان فوق كوكب المشترى ..

فالجاذبية تبلغ مرّتين ونصف قدر الجاذبية فوق سطح كوكب الأرض ..كما أن الأعاصير المدمّرة لغازات سامة مثل الميثان ..علاوة على مجالات قوى متعدّدة كهرومغناطيسية ..وإشعاعات مروّعة ..

تجعل مجرد محاولة الهبوط فوق هذا الكوكب العملاق ضربًا من

المستحيل .. ولكن العلماء استطاعوا بعد عدّة اجتماعات إيجاد حل لهذه المشكلة ..

— ١ —

جلس الملّاحون الثلاثة حول جهاز الكمبيوتر داخل سفينة الفضاء ..

كان يبدو على الشاشة الهائلة ذات الأبعاد الثلاثة ..صورة لكوكب المُشترى .. الذى كان يظهر كقرص ذهبى .. تتوسطه خطوط مضيئة يتدرّج لونها من الأصفر الباهت إلى الأحمر القانى ..

أما فى أقصى الشمال والجنوب .. فيحيط بالكوكب أحزمة مُظلمة نسبيًا ، يتدرج لونها من البنى إلى الأزرق القاتم ..

بدأت مقاييس الضغط ترتفع فى جُنُون ..

استمر هذا عندما كانت سفينة الفضاء تنساب فى طيران لولبى دائرى ..حول كوكب المُشترى ..

أخذت مؤشرات المقاييس المختلفة تتحرّك حتى بلغت حدودها القصوى ..حيث كانت الأرقام تفقد معظم معانيها ..

أما درجة الحرارة كما سجلتها الأجهزة فكانت تنخفض فى بطء وبغير انتظام .. وأخيرًا انتظمت عند نحو مائة وأربعين درجة مئوية تحت الصفر ..

شقّت سفينة الفضاء طريقها بصعوبة بالغة .. خلال متاهة من الجزيئات الغازية وكرات الأيدروجين المتجمّد ..

وكان بخار النوشادر المنبعث من محيطات هائلة يضفى على الجو ذلك

المنظر المرعب ..

أما العواصف التى بدأت أجهزة سفينة الفضاء فى تسجيلها .. فقد بلغت سرعتها آلاف الكيلومترات ..

وبدت كأعاصير تكتسح كل شىء فى طريقها ..

كان من الواضح قبل هبوط سفينة الفضاء أن كوكب المشترى ليس عالمًا يبعث على البهجة فى النفس .. ولكن الملاحين الثلاثة ظنوا أنه كذلك .. بل كانوا مقتنعين بذلك ..

فهم لم يكونوا آدميين .. بل كانوا ثلاثة من الرُّوبُوتات .. مارد .. وجبار .. وصقر .. وقد صمموا فوق سطح الأرض خصّيصًا لهذه الرحلة .. المثيرة والخطيرة ..

قال مارد بعد أن هبطت سفينة الفضاء على سطح كوكب المشترى :

— يبدو مكانًا موحشًا بحق ..

لحق به جبار ونظر إلى سطح الكوكب الذى تغطيه جبال النشادر المتجمّدة ذات الارتفاعات الشاهقة .. وقال :

— توجد تركيبات من نوع ما على مسافة منّا .. ويبدو أنها صناعية .. وأقترح أن ننتظر سكان المشترى حتى يأتُوا إلينا ..

أنصت (صقر) .. ولكنه لم يحر جوابًا ..فقد كان أول رُوبوت صمم من الثلاثة ومن ثم كان يتكلم أقل من زميليه ..

لم يدم الانتظار طويلًا ..

فقد حطت بالقُرب منهم سفينة فضاء غريبة الشكل .. بيضاوية ..

ومالبث أن اقترب صف من العربات .. واتخذت مراكزها ..

ولفظت بعض الكائنات الحية ومعهم بعض المعدات ..ربما كانت أسلحة ..

قال (مارد) :

ــ إنهم يحيطون بنا الآن .. والخطوة المنطقية المسالمة .. هى أن نخرج إلى العراء ..

فتح باب سفينة الفضاء ..

وخرج الثلاثة بخطوات بطيئة ..

وكان ظهورهم عند الباب ..إشارة لشىء من الهرج بين سكان المشترى .. الذين يحيطون بهم .. وسجل (مارد) ارتفاعا فى درجة حرارة القشرة الخارجية لجسمه المصنوع من سبيكة معدنية من البلاتين والذهب والألومنيوم ..

نظر إلى (جبار) ، وقال :

ــ هل تشعر بالحرارة ؟ أعتقد أنهم يوجهون إلينا .. طاقة حرارية ..

أعرب (جبار) عن دهشته :

ــ إننى أتساءل عن السبب !.

أجابه (مارد) :

ــ إنها أشعة حرارية من نوع ما .. انظر ..

فقد انحرف شعاع لسبب غير واضح .. واصطدم مساره بغدير من النشادر النقى المتألق .. فما لبث أن غلى بشدة ..

التفت (مارد) إلى (صقر) ، وقال :

ــ هل لك أن تأخذ مذكرة بهذا ..

كان الرُّوبوت (صقر) هو المنوط بأعمال السكرتارية .. وطريقته فى أخذ المذكرات هى أن يضيف إلى اسطوانة الذاكرة الدقيقة داخل عقله الإلكترونى ..

وقد سبق له أن جمع تسجيلات كل جهاز فى سفينة الفضاء ثانية بثانية خلال الرحلة الطويلة إلى كوكب المشترى ؟.

سأل (صقر) فى حَيْرة :

ــ أى سبب أذكره لرد الفعل ؟.. ربما كان السادة الآدميون يودُّون الوقوف على هذا ..

قُل لا سبب واضح .. وأضف بأن درجة الحرارة القصوى للشعاع كانت نحو خمسين درجة مئوية .. و ..

قاطعه (جبار) قائلًا :

ــ هل نحاول الاتصال بسكان المشترى ..

أجابه (مارد) مؤكّدًا :

ــ سيكون هذا مضيعة للوقت .. ولن يكون هناك إلا عدد قليل منهم ..الذين يعرفون رموز الشّفرة التى يتبادلون بها الرسائل مع السادة الآدميين ..

صمت (مارد) قليلًا ، ثم أردف :

ــ يجب إذن أن يرسلوا فى طلب خبير للشفرة ..وبمجرّد وصوله سيتم الاتصال فورًا .. أما الآن فعلينا مراقبتهم ..

توقّف الإشعاع الحرارى ..

ودفعوا بأجهزة أخرى إلى الأمام ..وأخذت تعمل ..

سقطت بعض الكبسولات عند أقدام الرُّوبوتات .. سقطت سريعة وبقوة بسبب جاذبية كوكب المشترى .. ثم انفتحت وخرج منها سائل أزرق ..أخذ يكوّن بركًا .. راحت تنكمش بسرعة ..

اكتسحت الأعاصير الهائلة الأبخرة بعيدًا .. وحيث كانت تتجه .. ابتعد عنها سكان المشترى فى فزع بالغ ..

انحنى جبار وغمس إصبعه الضخم فى إحدى الحفر .. وحملق فى السائل الذى أخذ يتساقط ..

قال فى دهشة :

ــ أعتقد أنه أكسوجين مُسال ..

وافقه (مارد) :

إنه أكسوجين ولا شك .. إن هذا يبدو غريبًا .. وفى رأيى أنه سام لهذه المخلوقات ..

مالبث (صقر) أن قال :

ــ ربما كانت هذه المخلوقات الغريبة .. تحاول أن تهلكنا ..

حدث هدوء بسيط فى نشاط سكان المشترى .. وظهر تركيب جديد .. كان يتألف من شىء ما يشبه السنّارة الرفيعة تتجه صوْب الفضاء .. مخترقة ضباب المشترى الكثيف ..

وكانت السنارة الطويلة تقف متحدّية هذه الأعاصير بصلابة تدل على قوة غير عادية فى التركيب .. ثم صدر من قمتها صوت انفجار مروّع ..أضاء الجو كله ..

ــ ٢ ــ

غمرهم التألّق الباهر للحظات ..

ثم قال (صقر) ببطء :

ــ كهرباء عالية الجهد .. لا أدرى لماذا تحاول هذه المخلوقات إبادتنا .. دون سبب واضح ..

ولكن السادة الآدميين كانوا قد أتقنوا تصميمهم ..

استغرق صنع سفينة الفضاء عشر سنوات .. وكذلك الرُّوبوتات الثلاثة .. وكل الأجهزة الجوهرية ..

وكان الهجوم عليهم بلا جدوى ..

قال (جبار) فى تردُّد :

ــ لم يستخدموا بعد المتفجرات القوية .. إنهم لا يستطيعون بها إيذاءنا بالطبع .. ولكن يمكنها أن تلقى بنا على سطح الكوكب ..

التفت إليه (مارد) :

المتفجرات القوية مستحيلة .. فلا مكان للمتفجرات دون تمدُّد الغاز .. ولا يمكن للغاز أن يتمدَّد فى هذا الجو الغريب ..

تمتم (صقر) بصوت منخفض :

ـــ إنه جو مناسب جدًا .. وهو يُروق لى ..

وكان هذا طبيعيًا .. فقد صُمّم لهذا الغرض ..

انقضت ساعات الانتظار الأخيرة فى مناقشة تسُودها الحَيْـرة .. لوصف مظهر واحد من سكان المشترى ..

صرح (مارد) بقوله :

ـــ لا يمكن أن تصف أى شىء دون مقياس ترجع إليه .. هـذه الكائنات لاتشبه أى مخلوقات نعرفها .. إنها بعيدة كل البعد عن كل ما يستطيع تفكيرى الوصول إليه .. لقد كان جسم كائن المشترى عبارة عن كتلة هلامية حمراء .. وله أطراف عديدة وعدّة فجوات .. تستخدم غالبا للرؤية .. وعندما يتحرّك يبدو وكأن جسمه قد تحوّل إلى حالة غازية .. متموّجة ..

وفى ذلك الوقت .. تقدمت جماعة من سكان المشترى .. بطريقة غير منتظمة بالمرّة .. وما كان أحد يستطيع أن يحدّد طريقة تحركهم .. إنهم يسيرون بحركة انزلاقية وبسرعة .. ربما بمساعدة الرياح العاصفة ..

التزم الجانبان الصمت .. وامتنعا عن الحركة تمامًا ..

وبدا فى الجو نذير خطر ..

قال (جبار) فى حَيْرة :

ـــ لا بّد أنهم يراقبوننا .. ولكنى لا أدرى كيف ؟.. هل يرى أحد كما أعضاء حسّاسة للضوء ؟.

لم يكن شروق الشمس أو غروبها يمثلان أى فرق بالنسبة للظلام الدامس .. المنتشر فى قاع خمسة آلاف كيلومتر من الغاز الكثيف .. حتى

أن المرء لا يمكنه أن يتحدّث عن الليل والنهار ..

ولم يكن واحد من سكان المشترى أو أى رُوبُوت .. يمكنه أن يرى من خلال إشعاع الضوء الواضح .. ولكن هذا لم يكن يهم .. أيًا منهم ..

أجاب (صقر) بعد فترة :

ـــ إننى لا أرى فيهم شيئًا معقولًا على الإطلاق ..

فجأة .. انطلقت من بين سكان المشترى .. أصوات قرقعة معدنية ..

قال (جبار) فى ابتهاج :

إنها الشفرة .. لقد جاءوا بخبير الإتصالات أخيرًا ..

وكان الأمر حقيقيًا .. فإن نظام الشفرة المعقّد .. الذى حوّلته على مدى سنوات كائنات المشترى .. وسكان الأرض إلى وسيلة اتصالات مرنة .. لقد وضع الآن موضع التنفيذ .. وعلى مسافة قريبة ..

ظل كائن من سكان المشترى فى المقدمة .. بينما تراجع الباقون ..

وكان هو الذى يرسل نبضات الشفرة :

ـــ من أين أتيتم ؟.

تولّى (مارد) مهمّة التحدّث عن فريقه .. بوصفه الأرقى منهم عقلًا ..

قال فى جدّية :

ـــ نحن من كوكب الأرض ..

جاء السؤال الثانى سريعًا :

ـــ ماذا تريدون ؟.

معلومات .. فقد جئنا ندرس عالمكم لنعود بنتائج أبحاثنا .. وإذا قدّمتم لنا المعاونة ..

قاطعته قرقعة كائن المشترى :

ــ يجب أن تهلكوا فورًا ..

قال (مارد) فى هدوء :

ــ إننا مستعودن لعرض صداقتنا .. ولا داعى لإشهار الحرب ..

جاء الرد سريعًا .. قاطعًا :

ــ نحن سكان المشترى .. لا نحتمل وجود الحشرات بيننا ..

قال (مارد) لزميله :

ــ تظل الحقيقة ثابتة بأن السادة الآدميين فى خطر كبير .. هذا عالم ضخم .. وسكان المشترى هؤلاء أوفر عددًا وأكثر موارد .. فإذا استطاعوا أن يخترقوا الغلاف الغازى الكثيف .. ويصلوا إلى كوكب الأرض لأمكن لهم غزوها .. وإشاعة الدَّمار بها ..

ــ ٣ ــ

مرَّة أخرى .. انتظر مارد .. وجبار .. وصقر .. ومرّ اليوم ــ بحسب توقيت كوكب الأرض ــ ولم يستأنف حاجز السلاح نشاطه .. ثم عاد خبير الشفرة إلى بثّ رسائله .. ولو أن نماذج الرُّوبُوت زُوِّدت بروح الدعابة لاستمتعوا كثيرًا .. ولكنهم اكتفوا فى هذه الحالة بشعور من الرضا :

ــ لقد قررنا أن نسمح لكم بالبقاء فترة قصيرة .. حتى يمكنكم أن تروا مدى قوتنا بأنفسكم .. وعندئذ يمكنكم الرجوع إلى كوكبكم ..

لتخبروا الحشرات رفقاءكم عن النتيجة المروِّعة .. التى سينتهون إليها دون شك ..

أخذ (صقر) مذكرة عقلية إلكترونية .. بمضمون هذه الرسالة ..

رد (مارد) فى بساطة :

ــ شكرًا لكم .. هل نصحبكم إلى أقرب مدينة ؟. فهناك أشياء نريد معرفتها .. ونرجو عدم المساس بسفينتنا ..

قال (مارد) ذلك كطلب لا كتهديد .. فإن هذا الطراز من الرُّوبُوت ..زُوِّد بالخلق الحسن .. لكن يمكن ضمان سلامتهم خلال هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر ..

قال كائن المشترى :

ــ لا تهمنا سفينتكم .. ولن يلوِّث أحد من كوكبنا نفسه بالاقتراب منها .. يمكنكم أن تصحبونا .. ولكن يجب ألا تقتربوا مطلقًا من أحد سكان المشترى مسافة تقل عن ثلاثة أمتار .. وإلا لقيتم حتفكم فورًا ..

كانت المدينة الهائلة .. عبارة عن ميناء على شاطىء النوشادر الذى لا يحدُّه بصر .. أخذت الرياح الشديدة تلفح الوجوه .. أما الأمواج فكان يعلُوها الزَّبد ، وترتفع فى جُنُون ، ثم تهبط بفعل الجاذبية ..

كان من الواضح أن معظم تركيبات الميناء تحت سطح الكوكب ..

أما المبانى التى كانت تبدُو فهى مصنوعة من مادة معدنية سميكة .. وتتخذ شكل نصف كُرة .. ويميل لونها للبياض .. إما بسبب اللون الأصلى أو بفعل أبخرة النوشادر التى تملأ الجو .. وتتصاعد باستمرار من المحيط ..

قال (صقر) بفضول :

ــ هل يمكننى أن أستكشف مافى محيط النوشادر ؟.

أجاب (مارد) وكأنما نفد صبره :

ــ حسنًا .. ولكن لا تتأخر حتى نستأنف السير ..

هرْول (صقر) مسرعًا .. وشقَّ طريقه إلى الساحل .. ثم ألقى بنفسه فى لجة النوشادر .. وراح سكان المشترى يراقبونه مراقبة دقيقة ..

وبالطبع لم يفهموا شيئًا .. مما دار بين (صقر) و (مارد) ..

قرقع خبير الشفرة :

ــ من الواضح أن رفيقكما قرّر نبذ الحياة يأسًا لما رآه من عظمتنا ..

أجاب (مارد) فى تعجُّب :

ــ لا شىء من هذا القبيل .. إنما هو يريد أن يبحث عن الكائنات الحية الموجودة فى النوشادر .. فصديقنا يتملكه فُضول شديد أحيانًا .. ونحن ندرك هذا .. ونحاول إرضاءه كلما استطعنا ..

أعقب ذلك سكون طويل مَشُوب بالقلق ..

قال كائن المشترى :

ــ سيغرق !

أجاب (جبار) فى ثقة :

ــ لا خوف من ذلك .. فنحن لا نغرق ..

مالبث (صقر) بعد قليل أن شقَّ سطح المحيط .. واتجه فى بطء نحو الشاطىء .. ولكن شيئًا ما .. كان يتبعه ..

كائن حى ذو حجم هائل .. يتكوَّن جسمه من مجموعة من المخالب والبراثن والأشواك .. ثم اتضح أن الكائن البحرى لا يتبعه من تلقاء نفسه

بل إن (صقر) كان يجره خلفه .. اقترب (صقر) فى خجل .. واتخذ مهمّة الاتصال وهو مضطرب .. وبثّ رسالة إلى خبير الشفرة :

ــ إننى آسف جدًا إذ حدث هذا .. ولكن هذا المخلوق هاجمنى .. وكنت آخذ بعض المذكرات عنه .. وأرجو ألا يكون مخلوقًا نفيسًا ..

لم يجبه أحد فى الحال .. لأنه عند أول ظهور للوحش البحرى .. دبت الفوضى بين سكان المشترى ..

وعندما ثبت أن هذا المخلوق قد مات فعلًا .. أعيد النظام للصفوف .. وكان البعض ممن يتسمون بالجُرأة يفحصون الجثة عن قرب .. بفضول شديد ..

أتت رسالة الشفرة أخيرًا من كائن المشترى :

ــ إنه مخلوق متوحش للغاية .. ونادرًا ما يشاهد بهذا القرب من الشاطىء ..

ردَّ (مارد) فى تودُّد :

ــ إذا كان يصلح كطعام .. فإنه يسرنا بالطبع أن ..

قاطعته قرقعة خبير الشفرة :

ــ يمكننا أن نحصل على طعامنا بأنفسنا .. دون الاستعانة بالآخرين .. كلوه أنتم ..

عند هذا رفع (صقر) المخلوق بذراع واحدة .. وألقى به فى محيط النوشادر ..

ثم قال :

ــ شكرًا لكم .. فلا حاجة بنا للطعام .. إذ أننا لا نأكل مطلقًا ..

دعوا لركوب وسيلة مواصلات غريبة .. منخفضة ومربعة الشكل .. ومركز ثقلها أقل من نصف متر فوق مستوى سطح الكوكب .. وهى ذات ستة أقدام قصيرة وسميكة معدّة لرفع أطنان ومصنوعة من معدن لامع سميك للغاية .. وتسير بسرعة كبيرة عن طريق توجيهها من بعيد ..

انطلقت العربة بسرعة مخيفة إلى وسط المدينة .. ورأوا ما يكفى للحكم عليها .. وأنها تمتد حوالى مائة وعشرين كيلومترًا .. وتنزل فى قشرة كوكب المشترى حوالى عشرة كيلومترات .. وتمتلىء شوارعها المتشابكة بالكائنات .. كما تترامى مبانيها الغريبة .. وترتفع إلى عشرات الطوابق ..

لم يكن (جبار) سعيدًا .. عندما كان يقول :

ــ إذا كانت هذه عيّنة من رُقى سكان المشترى ..فلن يكون تقريرنا للسادة الآدميين .. يبعث على الأمل ..

ــ ٤ ــ

اقترب خبير الشفرة ، وقال :

ــ لقد آن لى .. أن أنسحب حتى موعد النشاط التالى .. عملنا على تدبير مساكن لكم .. مع أن ذلك كلّفنا الكثير من الجهد ؛ لأن البناء يجب أن يهدم ويبنى فيما بعد من جديد .. على أنه سيسمح لكم بالنوم فترة ..

لوّح (مارد) بذراعه الضخم .. معبّرًا عن شكره .. ثم قال :

ــ شكرًا لكم .. ولكن يجب ألا تزعجوا أنفسكم .. لا مانع عندنا من أن نبقى هنا .. وإذا شئتم النوم والراحة فافعلوا .. أما نحن فإننا لا ننام مطلقًا ..

لم يرد كائن المشترى .. ولكن لو كان له وجه .. لكان التعبير الذى يرتسم عليه مثيرًا ..

فما أغرب هذه المخلوقات القادمة من كوكب الأرض .. فهم لا ينامون .. ولا يأكلون .. بل لا يغرقون أيضًا ..

رحل خبير الشفرة ..

ظل (مارد) و (جبار) و (صقر) فى العربة مع فصائل مسلحة جيّدًا من سكان المشترى يحيطون بهم كحراس ..

انقضى وقت طويل .. قبل أن ترحل فرق الحراسة لتسمح لخبير الشفرة بالعودة ..

وقد جاء معه أحد سكان المشترى الذى قدمه إلى الرُّوبُوتات :

ــ معى موظف من الحكومة المركزية .. تنازل فقبل محادثتكم ، و ..

ويبدو أن الموظف كان على علم برموز الشفرة ، لأنه بثَّ رسالة قاطعت الخبير ..

ووجه خطابه إلى (مارد) و (جبار) و (صقر) :

ــ نُزل (مارد) و (جبار) بهدوء من الجانب الأيمن للعربة .. أما (صقر) فقد اقتحم الجانب الأيسر ..وبدلًا من أن يشغّل الجهاز الذى يحرّك جزءًا من الجانب كما فعل زميلاه ..

فحطم هذا الجانب بالأضافة إلى العجلتين والمحور ..

انهارت العربة .. ووقف (صقر) يحملق فيها فى صمت .. يدل على خجله ..

أخيرًا .. تكلم فى تلعثم :

إننى فى غاية الأسف .. وأرجو ألا يكون ثمن العربة مرتفعًا ..
أضاف (جبار) معتذرًا :
ــ صديقنا يتصرّف أحيانًا بتهوُّر ..
ــ أما (مارد) فقد بذل جهدًا صادقًا فى محاولة إعادة تركيب العربة .. ولكن دون جدوى ..
عاد (صقر) يحاول تبرير ما حدث :
ــ كانت المادة المصنوعة منها العربة .. ضعيفة .. انظروا ..
رفع قطعة من المعدن السميك .. وضغط عليها .. فإذا بها تنقسم إلى جزأين ..
ساد الصمت لدقائق ..
ثم عاد موظف الحكومة المركزية يبثّ رسالة سريعة :
ــ كان يجب إتلاف العربة على كل حال .. إذ تلوَّثت بوجودكم فيها ..
توقّف للحظات ، ثم أردف :
ــ أيّتها المخلوقات .. نحن سكان المشترى .. نفتقر إلى الفُضُول .. ولكن علماءنا يجدُّون فى طلب الحقائق .. إنهم يودُّون معرفة مِمَّ تتكوّن أجسامكم ..
ردَّ (مارد) :
ــ إننا حساسون للطَّاقة .. ويمكننا أن نكيف أنفسنا للمستوى الكهربائى أو المغناطيسى المواجه لنا .. أما بصرنا الطويل المدى فمنشؤه أشعه الليزر .. أما أجسامنا فتتكوّن من سبيكة معدنية خاصة من البلاتين والذهب والألومنيوم .. لا تتأثر بأى طاقة حرارية أو كهربية مهما بلغت شدتها ..
صمت للحظات ، ثم أكمل :
ــ أما جوّ المشترى فلا يؤثر فينا .. إذ أننا لانتنفس ..
تراجع سكان المشترى .. وقد التوت أجزاء شتى من أجسامهم التى يصعب

وصفها ..
كان من الواضح أنهم فى حديث هام .. وإن لم ينبعث منهم أى صوت على الإطلاق ..

ــ ٥ ــ

كانوا يصعدون سُلَّم سفينة الفضاء ..
أخذوا ينظرون ربما للمرّة الأخيرة .. إلى عالم المشترى الرهيب ..
أبخرة النوشادر تتصاعد من المحيطات التى لا حدَّ لها .. وتكوّن سحبًا رمادية تحوّل جو المشترى إلى ظلام دائم ..
فجأة .. أتت قرقعة رسالة شفرة من بعيد ..
استدار الرُّوبُوتات الثلاثة نحو مصدر الصوت .. كان هناك ثلاثة من سكان المشترى ينزلقون .. ويتماوجون بأجسامهم الهُلامية .. فى اتجاه سفينة الفضاء ..
جاءت الرسالة العاجلة :
لقد اجتمعت الحكومة المركزية .. وقرّرت توجيه هذه الرسالة لكم .. أيها الزُّوّار النبلاء ..
نظر كل رُوبُوت إلى الآخر فى دهشة ..
ما الذى حدث ؟.. وما سبب هذا التغيير المفاجئ فى الأسلوب ؟
ــ أيها الزوار النبلاء .. لقد نال كوكبنا الشرف بوجودكم فوق سطحه .. إننا نريد السلام مع كوكب الأرض ..
بعد لحظات ..أردف خبير الشفرة :
ــ نرجو إبلاغ زعمائكم بأننا نرحّب بأى زوّار من كوكبكم العظيم ..

* * *

وفى قمرة داخل سفينة الفضاء .. فى أثناء عودتهم إلى كوكب الأرض .. جلس الرُوبوتات الثلاثة أمام جهاز يظهر على شاشته خط أخضر فاتح .. قفز بسرعة كالأفعى ، ثم تقوَّس إلى جانب ..

تنهد (مارد) ، وقال :

ــ هذه مسألة نفسية .. إن سكان المشترى يعانون من عقدة العظمة ؛ لأنهم يعيشون فوق أكبر كواكب المجموعة الشمسية .. وعندما لم يتمكنوا من تدميرنا كان عليهم أن ينقذوا ماء وجوههم ..

صمت للحظات ، ثم استطرد قائلًا :

ــ فكانت كل استعراضاتهم .. وما قالوه قصد به إذلالنا وإقناعنا بقوتهم .. وتفوُّقهم علينا .. ولكن بعد ما رأوه من أننا لا نأكل .. ولا ننام .. ولا نتنفس .. انهاروا تمامًا ..

تساءل (جبار) فى دهشة :

ــ ولكن ما الذى يعنيهم من أمرنا .. فما نحن سوى رُوبُوتات .. أناس آليين .. ولسنا نحن الذين سنقاتلهم ..

ردَّ (مارد) فى ارتياح :

ــ لقد فكرت فى هذا .. بعد أن غادرنا كوكب المشترى .. أتعلم أنه فاتنا سهوًا وعن غير قصد .. أن نخبرهم أننا رُوبُوتات ..

قال (صقر) فى تعجُّب :

ــ ولكنهم لم يسألونا قطُّ ..

ردَّ عليه (جبار) :

ــ تمامًا .. لقد ظنوا أننا بشر .. وأن كل سكان كوكب الأرض مثلنا ..

استدار لينظر إلى كوكب المشترى .. الذى أخذ يتباعد فى أعماق الفضاء .. وأكمل فى همس :

ــ أهم ما فى الأمر .. أن ساد السلام بين كوكب المشترى .. وكوكب الأرض ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

المادة المضادة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

— ١ —

كانت من أغرب التجارب التى مرّت على الجنس البشرى .. خلال تاريخه الطويل .. وشغلت لفترة طويلة .. كل دول العالم ..

أما الآن وقد انتهى كل شىء ..

ونجونا من العواقب المحتملة الخطيرة ..

فإننا نتساءل : لماذا أبطأنا فى رؤية ما حدث ..

ذلك أنه كان من الممكن التنبؤ به .. فقد كنا نعلم أن مركز الإنسان فى الكَوْن خطر .. بل إن وجود المادة نفسها لم يكن مستقرًا ..

بعد اكتشاف أن البروتون والنيوترون المكوِّنين لنواة الذرّة .. ليسا جسيمان أوّليان .. بل إنهما مُكوَّنان من جسيمات أكثر دقة .. أطلق عليها الكواركات ..

كذلك بعد اكتشاف العديد من الظواهر الكَوْنيّة .. مثل العمالقة الحمر ، والأقزام البيضاء ، والثقوب السوداء .. عندما تتخذ المادة شكلًا رهيبًا غير مألوف لنا ..

كانت الإنذارات كافية .. ومتعدّدة .. وقد استمرت لعدة سنوات ..

فقد لاحظ البيولوجيون أن تطوُّر الحياة الحيوانية والنباتية فى نصف الكرة الشمالى من كوكب الأرض .. كان يسرع باستمرار .. ربما بسبب الزيادة التدريجية التى لا تعليل لها ألبتّة فى كثافة الأشعة الكَوْنيّة .. القادمة من اتجاه النجم القطبى .. والتى تتكوّن أساسًا من أشعة جاما ..

ولكان سكان الأرض على وجه العموم .. لم يَرُق لهم الموقف .. وبالذات العلماء .. فانهم لم يستطيعوا أن يفسّروا هذه الظاهرة ..

وعندما لا يستطيع عالم أن يفسّر شيئًا ينتابه الضيق ؛ لأن هذا يجعله يبدو أحمق .. أمام الآخرين ..

كانت الساعة السادسة والربع من مساء يوم ١٤ فبراير عام ٢١٥٦ عندما رأى الدكتور (أشرف مجدى) عالم الفيزياء الفلكية أول بصيص من النور ..

كان يعمل على مرصد جديد يبلغ قطر عدسته ١٢ مترًا .. مقام فوق أحد جبال سيناء .. بالقُرب من نويبع ..

لاحظ فى لوحته الفوتوغرافية من مقياس الطيف .. المركز على النجم القطبى فى نصف السماء الشمالى .. إظلامًا غير عادى ..

كرّر الدكتور (أشرف) المحاولة عدة مرّات .. وحصل على نفس النتيجة ..

إظلام متساوٍ على طول الخط الطيفى ..

التفت إلى مساعدته الدكتورة (كريمه فوزى) .. وقال فى دهشة :

— تعلمين أن طيف ضوء النجم يعطى حزمًا من الخطوط ، تساعدنا على تحديد العناصر التى يتكوّن منها .. فكل عنصر له طيف مختلف .. ..

صمت لبرهة ، ثم أردف :

— ولكن الأمر الغريب أن هناك عددًا كبيرًا من الخطوط المظلمة فى طيف هذا النجم .. الذى أقوم بدراسته .. كما أننى لم أعرف أى مصدر للضوء يعطى طيفًا مستمرًا من الأشعة تحت الحمراء مثله ..

أجابت الدكتورة (كريمة) فى اهتمام :

ــ تعنى أن التركيب الذرّى مختلف !.

قال موافقًا :

ــ هذا ما كنت أفكّر فيه تمامًا .. فالذَّرَة العادية تتكوّن من نواة بها بروتون ونيوترون ، ونيوترونات متعادلة الشحنة .. وتدور حولها إلكترونات سالبة الشحنة .. ولكن يبدو أن الأمر مختلف مع هذا النجم .. فيبدو أن التركيب الذّرى غير عادى ..

ساد صمت ثقيل فرض نفسه على غرفة الرصد ..

عاد الدكتور (أشرف) يقول متهيّبًا :

ــ أخشى أن تكون المادة معكوسة فى هذا النجم ..

قالت الدكتورة (كريمة) فى ذُهول :

ــ المادة المضادة !!

هزّ رأسه مؤكّدًا ..

ــ أجل .. فالإلكترونات موجبة فى الذرّة المضادة .. أما البروتونات فسالبة الشحنة .. وهذه حالة نادرة فى المادة .. ولا ندرى كيف تكوّنت !.

قالت الدكتورة (كريمة) ، وهى متجهمة الوجه :

ــ ولكن إذا حدث واصطدمت المادة العادية .. بالمادة المضادة .. فسيحدث انفجار هائل يفنى المادتين معًا .. وتنتج أشعة جاما ..

تنهّد الدكتور (أشرف) ، وهمس :

ــ أعلم هذا ..

ــ ٢ ــ

بعد أسبوعين ..

نظر العالمان كل منهما إلى الآخر .. فى رُعب ..

مما قد اكتشفاه ..

كانا يطّلعان على النتائج من الكمبيوتر ..

إن الجسم الفضائى المجهول الذى كان يشع الضوء إشعاعا خافتا .. ولكن مستمرًا .. يبعد نحو عشرة آلاف مليون كيلومتر عن كوكب الأرض ..

وكان يقترب منه بسرعة هائلة .. ويهدّد بفنائه قبل أقل من عام ..

ولم يظهر أى خبر فى وسائل الإعلام .. فقد فرضت عليها رقابة صارمة .. إذ كان الخطر مُحْدِقًا .. والفزع كفيل بأن يزيد الأمر سوءًا ..

ومرّت الأيام ..

قدم الدكتور (أشرف) والدكتورة (كريمة) تقريرهما إلى المؤتمر الدولى للعلوم .. الذى عقد اجتماعًا طارئًا لمناقشة هذه الظاهرة المدمّرة ..

وتحدّث الدكتور (أشرف) فى الاجتماع الذى عقد بالقاعة الكبرى بجامعة الفيوم :

ــ وهكذا ترون الموقف أيها الزملاء .. إنكم تفهمون جميعًا نظريتى .. بأن هذا الجسم الفضائى الغامض يتكوّن من مادة مضادة .. وأنتم تعلمون أن مراصد العالم .. فوق كوكب الأرض .. وفوق كوكب المريخ .. وكوكب الزهرة .. قد اتفقت جميعًا مع رصدنا لهذا الجسم ..

صمت للحظات ، ثم أردف فى حيْرة :

ــ إننى لا أعرف أيّة نظرية علمية .. يمكن أن تفسّر سلوك هذا الجسم الغريب .. وأرجو أن تكونوا موافقين على نظريتى ..

نظر حوله على مائدة الاجتماع .. فلم ير إلا إيماءات صامتة ، ثم استرسل :

ــ لو حدث ــ لاقدّر الله ــ واصطدم هذا الجسم الفضائى بكوكب الأرض .. فسيحدث دمار شامل فى كل جزء بها .. ولو كان يتكوّن من مادة عادية لأمكن تركيب أنابيب صاروخية هائلة عليه .. حتى نبعده عن مساره بحيث يخطئ كوكب الأرض بمسافة بعيدة ..

سكت مرّة أخرى للحظات .. ثم تنهّد قائلا :

ــ ولكن ماذا نفعل بهذا الشىء الذى إذا لمسناه .. أبادنا؟!

ساد صمت ثقيل فى كل قاعة الاجتماع :

ــ أيها الزملاء .. إن خُطّتى للتخلُّص من هذا الجسم الفضائى الذى يهدّدنا هو أن نحطّمه من بعيد .. باستخدام أشعة الليزر ..

لهث العلماء .. وهم ينصتون إلى هذا الاقتراح ..

وكانت هناك احتجاجات مثيرة .. ومناقشات حامية .. سرعان ما خفُت .. حين استولت الخُطّةعلى خيال العلماء ..بعد أن شرحها الدكتور (أشرف) بالتفصيل :

ــ إن خُطّتى تتلخّص فى تصميم قمر صناعى يوضع فى مدار على بعد ٤٠٠٠٠ كيلومتر يحمل معدات إنتاج أشعة الليزر .. يطلق من كوكب الأرض من مكُوك فضائى عربى .. ويوجّه بعد ذلك لينطلق بسرعته الهائلة

فى اتجاه الجسم الفضائى .. وعندما يكون على مسافة معيّنة منه .. يتم إطلاق أشعة الليزر بالتحكّم عن بعد من مكُوك الفضاء .. حتى يتم تدمير الجسم الفضائى ..

ــ ٣ ــ

كان مكُوك الفضاء العربى (ابن الهيثم) يقف كسيف هائل يتجه نحو السماء .. تزينه أعلام كل الدول العربية ..

فى الداخل كان الدكتور (أشرف) والدكتورة (كريمة) يجريان ــ لآخر مرّة ــ حساب مسار القمر الصناعى .. باستخدام الكمبيوتر الضوئى ..

كان القمر الصناعى فى مهمّة لتدمير الجسم الغريب ..

لم تبقَ سوى ثلاث دقائق ..

ركّز الدكتور (أشرف) نظراته القلقة على خريطة الإطلاق التى تعرضها شاشة الكمبيوتر ..

وضع أصابعه المرتعدة على الصف الأول من الأزرار الملوّنة ..

بقيت عشرون ثانية ..

ارتعد الدكتور (أشرف) رعدة خفيفة .. حاول إخفاءها بالتثاؤب .. ونظر بسرعة إلى الدكتورة (كريمة) التى كانت تتابع أجهزة مكُوك الفضاء ..

ثم بدأ العدّ التنازلى ..

وانطلق مكُوك الفضاء العربى (ابن الهيثم) ..

ازداد هدير الإطلاق .. واتخذ اللهب بريقًا لايحتمل ..

كان هناك شعور بالإسراع .. كأنما أرضية المكُوك تنحدر ..

بعد أن اطمأنا إلى أن الأجهزة تعمل بكفاءة .. صدرت إليهما التعليمات من مركز المتابعة بمدينة الأقصر .. بإطلاق القمر الصناعى .. ثم متابعة مساره .. والاستعداد لإطلاق أشعة الليزر لتدمير الجسم المجهول ..

كان مكُوك الفضاء العربى ينطلق بسرعة تقترب من سرعة الضوء .. وأصبح كوكب الأرض مجرّد كُرَة زرقاء صغيرة مغلفة بالسُحب الدقيقة ..

وكان الجسم الفضائى الغامض .. يبدو فوق شاشات الكمبيوتر كمجرّد نقطة بيضاء متوهجة ..

ولكنه كان يقترب طول الوقت ..

وسرعان ماملأ مساحة كبيرة فى شاشات الكمبيوتر ..

لقد بدا واضحًا الآن .. بلونه الرمادى الكئيب .. ولم يكن يميّز سطحه أى شىء .. لا براكين ولا وديان .. ثم قامت الدكتورة (كريمة) بإطلاق القمر الصناعى ..

قال الدكتور (أشرف) فى دهشة بالغة :

ــ أى عالم هذا .. مجرّد كُرَة من الصخر بلون غريب .. ماذا تفعل هنا ؟ ومن أين أتت ؟

مدّت الدكتورة (كريمة) يدها صوْب شاشات الكمبيوتر حيث

الجسم المجهول .. وهمست :

ــ إنه هنا .. وهذا يكفى .. ليس المهم من أين أتى ..

كانت الأعصاب متوتّرة .. فمصير كوكب الأرض .. يعتمد على نجاح مهمتهما ..

ضغط الدكتور (أشرف) على زرّ إطلاق أشعة الليزر من القمر الصناعى ..

حدث انفجار مروّع فى الجسم الغريب .. أضاء الفضاء من حوله ..

كان هناك وميض يعمى الأبصار على شاشات الكمبيوتر ..

ثم اسود لونها .. واحترقت .. بسبب تلك الومضات الهائلة من الإشعاع الكهرومغناطيسى .. وبالذات أشعة جاما .. التى تولّدت عن الانفجار ..

وفجأة .. توقفت كل أجهزة مكُوك الفضاء ..

سكتت الأصوات الرتيبة .. ولم تترك إلا المعدن الجامد .. والبلاستيك البارد .. وأصبح العالمان .. داخل تابوت معدنى فى أعماق الفضاء ..

ــ ٤ ــ

قال الدكتور (أشرف) بصوت خالٍ من أيّةنبرة :

ــ على الأقل لم يكن توقف أجهزة مكُوك الفضاء مفاجأة لنا .. فقد كان هناك احتمال حدوث ضرر ما بسبب كثافة الإشعاع الصادر عن الجسم الغريب .. بعد حدوث الانفجار المروّع .. وتطاير أجزائه فى الفضاء ..

توقف لبرهة ، ثم نظر للدكتورة (كريمة) .. وقال مشجّعًا :

ــ أعتقد أننا قمنا بعملنا على أكمل وجه .. وأنقذنا كوكب الأرض من الدّمار .. ومع هذا .. يجب ألا نهمل أى احتمال للبقاء على قيد الحياة .. هل نستطيع الاتصال بمركز المتابعة بالأقصر ؟.

قالت الدكتورة (كريمة) فى لهجة ساخرة :

ــ كيف ؟ وكل الأجهزة متوقفة !

ثم أكملت فى شىء من المنطق :

ــ ربما نحاول إصلاح أجهزة الاتصال ..

ساد صمت لعدّة دقائق ..

كان واضحًا أن الأجهزة لا تعمل .. ولا سبيل لإصلاحها ..

قال الدكتور (أشرف) فى همس .. وقد قطّب حاجبيه :

ــ هل تعتقدين أن هناك كائنات حيّة تحتل هذا الجسم الغريب .. وهى التى تسبّبت فى تدمير أجهزتنا .. كنوع من الانتقام ؟

أجابت الدكتورة (كريمة) :

ــ لا أظن .. إذ كيف تعيش أى كائنات فوق المادة المضادة !

فجأة .. بدأ هدير الآلات والأجهزة من جديد ..

تألّقت اللوحات الإلكترونية .. وأضيئت شاشات الكمبيوتر .. فى مقر قيادة مكّوك الفضاء العربى ..

ــ قال الدكتور (أشرف) فى ذُهول :

ــ لا أستطيع أن أصدّق هذا .. لقد رأيت بنفسى شاشات الكمبيوتر وهى تُظلم وظننتها احترقت !

وراح يحملق فى شاشات الكمبيوتر .. والمناظر التى تبدو فوقها ..

لقد اختفى الجسم الفضائى الغامض تمامًا .. ولم تبق منه سوى قطع متناثرة دقيقة لا تكاد ترى ..

قالت الدكتورة (كريمة) فى ارتياح :

ــ أعتقد أن تفسير توقف آلات وأجهزة مكّوك الفضاء بسيط للغاية .. فقد تأثّرت بأشعة جاما الكثيفة التى نتجت عن انفجار الجسم الغريب .. وبمجرّد أن خفّت هذه الأشعة .. عادت الآلات والأجهزة تعمل بشكل طبيعى ..

ابتسمت لأول مرّة منذ بدء الرحلة .. وقالت فى مرح :

ــ أرجو أن تتصل بمركز المتابعة بالأقصر .. وتبلّغهم أننا دمّرنا الجسم الغريب .. وأن الخطر قد زال عن كوكب الأرض .. والحمد لله ..

وعاد مكّوك الفضاء العربى (ابن الهيثم) .. وقد أتم مهمّة تعتبر من أغرب ما واجهته البشرية منذ بدء الخليقة ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

الموت فوق كوكب مجهول

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
[illegible]

كان يسير بثاقل وإرهاق .. كأنه بقايا جيش مهزوم ..

يتأمّل الظُلمة الرابضة على الوجود .. ويبدو فى رداء الفضاء الفضفاض .. ككائن خرافى يأتى من عالم آخر ..

شىء كبير ينحدر .. شىء مثل غيمة سوداء تسقط على عينيه .. على رأسه .. تطمر العالم .. وتغرقه فى حفرة لاقرار لها ..

هدير عابر يجرف بصره إلى ما حوله .. إلى الفضاء ..

ويبقى مأخوذًا للحظات بِرَوْعَة الكَوْن ..

كان وحيدًا تمامًا فى عالم بلا حدود .. الإنسان الأول فوق هذا الكوكب المجهول ..

الحَيْرَة والتردُّد .. والقلق والألم .. مثل أشياء تُولد فى لحظة خاطفة ..

كانت كلها تنتابه وتأخذه إلى ألف خاطرة .. وارتباك ..

ومع هذا فما أجمل الحزن !! وهو يهبط على الصدر والعينين والقلب ! كالضباب القانى ..

— ١ —

كان يموت فى سبيل العلم ..

الموت .. ومهما كان عدد المرّات التى ردّد فيها هذه الكلمات .. فإن عقله لم يكن يستطيع أن يستوعبها ..

الموتى وحدهم الذين يعرفون ماهو الموت ..

ومع ذلك فسيموت بعد عشر دقائق .. كلّا .. بالتحديد بعد سبع دقائق ونصف ..

سار بالقُرب من فُوَّهة بركان خامد فوق هذا الكوكب المجهول .. بعيدًا عن حطام سفينة الفضاء التى تحطّمت ونجا هو بمعجزة ..

كانت سفينة الفضاء قد انحرفت عن مسارها لسبب فنّى .. تاركة على مسافة كبيرة كوكب (بلوتو) .. آخر كواكب المنظومة الشمسية .. والذى كان الهبوط فوقه هو الهدف من الرحلة .. فى يوم ١٥ سبتمبر ١٩٩٩

كان حريصًا ألا يَدع أى نقطة تنسكب من كأس آلامه ..

جمع آخر علبة من تراب هذا الكوكب .. وعاد به إلى سفينة الفضاء .. فربما يأتى فيما بعد من يجدها داخل الحطام .. فيعلم أنه قد أدّى واجبه .. إلى آخر لحظة ..

كان الموصل داخل خوذته الشفافة يصدر صوتًا ليلفت نظره ..

ست دقائق وينتهى احتياطى الأكسوجين ..

أقل من ست دقائق ..

لا يدرى متى هبطت أول دمعة .. ولا كيف خرجت أول شهقة ..

كل مايدريه أن دمعته الأولى جرفت سيلًا .. لم يكن يعتقد أنه كان يختزنه ..

وأن شهقته الأولى فتحت الباب على مصراعيه لما تلاها ..

ربما لأن عقله بدأ يَعى ما حدث ..

لقد انحرفت سفينة الفضاء عن مسارها بسبب خلل فى أجهزة

التحكُّم .. لم يستطع مركز المراقبة فوق كوكب الأرض إصلاحه بعد عديد من المحاولات الفاشلة ..

كان كل الفضاء خاليًا ..

لم يكن كوكب الأرض إلا جسمًا يدور فى الفضاء .. وكانت الشمس والنجوم الأخرى مجرَّد كُرات من الغازات الساخنة .. تتألَّق ..

أن يفكِّر فى هذا .. أن يفكِّر أنه سيموت ؛ لأنه لم يبق هناك أكسوجين ليطعم خلايا دمه ..

ولكن الوقت لم يكن يتسع لأن يفكِّر فى كل شىء .. فسريعًا .. سريعًا جدًّا يجب أن يَكُفَّ عن كل تفكير ..

صبَّ نقمته على العلم لأنه بحر ضيِّق .. يكاد بحوه المتكبِّر أن يقتل الطمأنينة فى باطن الإنسان .. يقلقه .. يفتح عليه نوافذ التساؤل والاضطراب ..

اختفت السعادة من قلب الإنسان يوم كبر صنم العلم وتفشَّى ..

كارثة القرن العشرين أنه ضيَّع المحبة .. والعاطفة .. والإنسانية .. كارثته أنه وقف عبدًا للعلم ..

كلَّا .. إنه لايموت فى سبيل العلم .. فالعلم ليس بالسبب القوى الذى يموت من أجله ..

— ٢ —

أدرك فجأة أنه يحاول أن يحبس أنفاسه ..

فقد كان الوحش الأبكم داخل عقله الباطن لايزال يعتقد أنه يمكن

إنقاذه .. ضبط الموصل .. ثم تساءل قائلًا :

— أجل ..

أتاه صوت زوجته المتلف .. الرنَّان .. الذى كان لايزال واضحًا عبْر بلايين الكيلومترات من الفراغ :

— هل أنت بخير ؟.. لقد تولَّانا القلق .. فقد ظننا ..

أجابها فى يأس :

كلَّا .. لم يحدث شىء بعد ..

عادت تقول بصوت مُفْعَم بالحزن :

— لقد اكتشفنا أصل المشكلة .. إن وحدة حقن الوقود الثالثة .. لم تكن متفقة فى الزمن مع ..

قاطعها وقد نفد صبره :

— أرجوك .. لن يفيدنى أن أعرف هذا ..

كانت هناك فترة صمت ..

ثم تكلمت زوجته مرَّة أخرى .. وأوحَى التغيُّر فى صوتها .. أنها كانت تبكى ..

قالت من بين عبراتها :

— العالم كله يصلِّى من أجلك .. وكل العلماء معجبون بشجاعتك ..

سألها فى سُخرية بالرغم منه :

— شجاع ! .. هل من الشجاعة أن يتنفس الإنسان ؟ .. هكذا أنا .. لست قادرًا إلا على التنفس .. عاجز أن أفعل أى شىء ..

مرَّت ثوان .. دون أن يسمع صوتًا ، ثم أردفت :

ــ ماذا قلت ؟ .. لقد فقدنا الإتصال بك للحظات ..

ــ لا شىء ..

ــ ابنتك ترسل لك تحياتها ..

أجاب بحنان :

ــ قبليها من أجلى ..

بقيت ثلاث دقائق ..

ــ ٣ ــ

كان يموت فى سبيل الحب ..

ألَمْ يقُل خلال أشهر الصيف الماضية .. إنه الآن يمكنه أن يموت دون ندم ؟.

وأن كل شىء سيكون تزايدًا ؟.

ألم تكن هى غاية فى الجمال .. عندما كانت تنظر إليه وتغرقه فى لون عينيها الزرقاوين ؟.

وكان يلهث بنظراته فى احضان المدى الأزرق ..

إنها زُرقة داكنة بعيدة الأطراف .. يلُوح بريقها كخيط من الفجر .. ينبع فى أعقاب ليل طويل ..

انقضى هذا .. وأصبح مجرَّد ذكريات ..

إن مايفعله الآن كالتشبث بالجمال .. أو الحب .. من الزوال

ولكنهما يزولان بعد سنين .. أو ربما ذات أمسية ..

الكلمات ..

لم يكن ثمّة عزاء فى الكلمات ..

همس فى صوت يشُوبه الألم .. والحسرة .. وإن أنكرهما :

ــ حبيبتى :

ذلك أنها ستبقى .. بينما هو سيموت ..

بعد دقيقة ونصف ..

كلّا .. إنه لم يكن يموت فى سبيل الحب .. فالحب برغم كل شىء ليس بالسبب القوى .. الذى يموت الإنسان من أجله ..

ــ ٤ ــ

كان يموت فى سبيل وطنه ..

لقد كان ــ كما يجب أن يكون رائد الفضاء ــ وطنيًا .. بل متعصّبًا بعض الشىء ..

ماذا لو نجح ؟ .. ماذا لو أصبح بطلًا .. ومات فى هالة من المجد ؟ ..

أكان هذا يغيّر من الحقيقة ..

بأنــه يجب أن يموت .. وأن فى مواجهة الموت ..

لاشىء يتألّــق .. لا شىء يكون موضعًا لفخر ؟.

لا شىء تكون لـه قيمــة ..

اللهم إلا فترة أخرى من الحياة ..

ولو لعدة دقائق أخرى ..

إنه يتمنّى أن يموت فى سبيل وطنه ..

كاد أن ينتهى مخزون الأكسوجين ..

نظر دون أمل .. نظرة أخيرة .. إلى كوكب الأرض .. مجرّد جسم معلّق فى الفضاء ..

ثم تجاهل صوت الموصل ..

وفى الثوانى الأخيرة ..

جاءته فكرة خاطفة .. كأن الله يريد أن يمنحه بعض الراحة .. فى الإجابة على السؤال الذى يُحيّره ..

لماذا يموت ؟ ..

إنه يموت فى سبيل وطنه الكبير ..

كوكب الأرض كله ..

إنه يموت من أجل البشرية ..

فى سبيل تقدّم الإنسان ..

وإيجاد عالم آخر للحياة فوقه .. غير كوكب الأرض الذى يكاد ينفجر بسكانه .. ويختنق بالتلوّث ..

فك مسامير قطعة الوجه التى كانت تربطها بالخوذة الشفافة ..

ومات راضيًا ..

بعد أن أدرك أن هناك دائمًا .. سببًا وجيهًا للموت ..

فى سبيل حياة الآخرين ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

التجربة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

كان عاريًا ثقيل الوزن ..

شعره الأسود الكثيف ينسدل على كتفيه ..

الفراء يغطى جسمه ..

أما وجهه فأقرب إلى الوحشية .. إلا أن المجتمع كان يقبله دون اعتراض ..

ولكن عينيه كانتا تخونانه ..

لم تكن عينا حيوان ..

فقد كان فى أعماقهما شىء لم يعرفه الحيوان قطُّ ..

القُدرة على استعادة الذكريات ..

تطير نظراته إلى أفق كوكب المريخ .. حيث تبدو الشمس الهائلة يتصاعد منها أشكال غريبة مائلة للحُمرة .. وألسنة من اللهب الدامى تلوُى .. وتتراقص .. وتعكس وهجها على قُوَّهات البراكين الداكنة .. التى تبدو كمئات الأفواه الجبارة المفتوحة .. أو العيون الهائلة المحملقة إلى الفضاء .. فى دهشة .. كان سيحتفظ بالسِّر فى الظُّلمة .. فى أعماق ذاته .. كبقية الأسرار المحبوسة داخل الجدران .. هناك فى مقبرة الأسرار .. حيث لا تنالها الأيدى ولا تقتحمها العيون ..

كان يتذكر ..

ويحى لكائن غير مرئى .. أحداثًا غريبة ..

— ١ —

قالوا لنا بمجرَّد هبوطنا فوق سطح كوكب المريخ :

— أيها الصغار .. هذا هو وطنكم ..

كنا نعيش داخل بيوت زجاجية .. ذات مواصفات خاصة .. أقيمت من أجلنا .. وفى نفس اليوم .. أخبرونا أن محاضرة هامة ستلقى هذا المساء .. ويجب أن نحضرها جميعًا ..

وقف كبير الخبراء .. فى زِىّ الفضاء الفضّى المتألّق .. وكان يتكلم من خلال مكبِّر للصوت داخل خوذته الشفافة :

— أيها الصغار .. هذا هو وطنكم .. المريخ .. الكوكب الذى ستبقون به طول حياتكم .. أنتم سكان المريخ ..

صمت لبرهة ، ثم أردف فى بطء :

— لقد عشتم خمس سنين على كوكب الأرض .. ثم خمس سنين فى محطة الفضاء (البيرونى) بالقُرب من القمر .. وستبقون فى هذه البيوت الزجاجية عشر سنوات أخرى .. وفى نهاية هذه المدة .. يمكنكم قضاء فترات تطول تدريجيًا فوق سطح المريخ .. وستقيمون بيوتكم وتعيشون كأول سكان لكوكب المريخ .. ثم تتزاوجون .. وتنجبون .. وهكذا تزدهر الحياة .. فوق هذا الكوكب الميت

اتجه كبير الخبراء إلى شاشة العرض .. وأخذ فى الشرح على الفيلم المجسَّم :

— لقد كان الوقت لأخبركم بتلك التجربة المثيرة .. التى تجرى عليكم ..

وأخبرنا بالتفاصيل ..

بعد عدّة محاولات بدأت فى عام ١٩٧٦ ، تمكّن الإنسان من غزو كوكب المريخ فى عام ١٩٩٤

ولم يجد فوقه أيّة دلائل للحياة .. سوى بعض النباتات البدائية .. كما لم يتمكّن من الحياة إلا داخل بيوت زجاجية ذات مواصفات خاصة .. ثم كان عليه ارتداء ملابس الفضاء .. والخوذة المتصلة بجهاز توليد الأكسوجين .. إذا أراد الخروج إلى سطح المريخ ..

كانت النباتات التى اكتشفت مؤخرًا فى بعض المناطق بالقُرب من القنوات المتشابكة .. وفُوهة كبلر .. سامة لا تصلح للغذاء .. ولهذا كان على رؤاد الفضاء جلب طعامهم المحفوظ معهم من كوكب الأرض .. أو يقومون بزراعة بعض البقول داخل البيوت الزجاجية .. بعد تهيئة درجة الحرارة والرطوبة الملائمين لنموّها ..

وخلال ثلاثين عامًا .. حاول الإنسان أن يبقى فوق سطح المريخ .. ولكن باءت جميع محاولاته بالفشل ..

فقد كان الإنسان يعتبر كوكب المريخ أكثر كواكب المنظومة الشمسية ملاءمة للحياة .. فلو لم يتمكّن من الحياة فوقه .. فهو إذن لن يتمكّن من الحياة فوق أى كوكب آخر .. فى المنظومة الشمسية ..

وفى عام ٢٠٢٤ ــ أى منذ ثلاثين عامًا ــ توصل كيميائى عربى يدعى الدكتور (يونس إبراهيم) إلى تركيب دواء لا يؤثر على الكائن الحى مباشرة .. بل على ذُرّيته .. ومن خصائص هذا الدواء .. أن يمكّن الكائن الحى من التكيف تدريجيًا مع البيئة والظروف التى يعيش فيها ..

وقد أجرى الدكتور (يونس) تجاربه الأوّلية فى مختبره بجامعة الأقصر .. على قِطّة .. وعندما أنجبت أمكن أن يضع إحدى القطط الصغيرة فى درجة حرارة ٣٠ تحت الصفر .. ويضع أخرى فى درجة حرارة مائة منوية .. فوق الصفر ..

ولم تتأثر كلتاهما على الإطلاق ..

ثم نجحت التجارب التى أجريت على الإنسان فيما بعد ..

ــ ٢ ــ

عاد كبير الخبراء إلى مكانه أمام المجتمعين .. وكان يمكن رؤية ابتسامته الوذودة خلف خوذته الشفافة ، وأردف :

ــ منذ عشر سنوات .. وُلدتم من آباء وأمهات اختيروا لإجراء هذه التجربة .. ومنذ ولادتكم ونحن نعرّضكم تدريجيًا لمختلف الظروف التى تشابه جوّ المريخ .. فقد تعمدنا تقليل نسبة الأكسوجين فى الهواء الذى تتنفسونه .. ونتج عن ذلك أن صدوركم أصبحت أكبر حجمًا من صدرى مثلًا .. ونبت فوق أجسامكم فِراء كثيف حتى يمكنكم اتقاء البرد القارص .. فوق كوكب المريخ ..

نظر كبير الخبراء إلى مساعديه .. ثم استطرد قائلًا :

ــ وعندما كنتم فى الخامسة من عمركم .. كان على الأطباء والممرضين الذين يقومون برعايتكم ارتداء زىّ خاص .. حتى يتمكّنوا من الحياة فى الظروف الجوية .. التى كانت تبدو لكم طبيعية تمامًا ..

اقترب كبير الخبراء من المجتمعين .. وانخفض صوته :

ــ وبعد عشر سنوات ستصبحون ملائمين تمامًا لجوّ المريخ .. ولجميع الظروف المحيطة بكم .. أما الخمس سنوات التى قضيتموها فى محطة الفضاء (البيرونى) .. فقد حاولنا خلالها أن نخفف فيها مقدار الجاذبية تدريجيًا حتى تصبح جاذبية كوكب المريخ .. عادية بالنسبة لكم ..

أشار إلى سطح كوكب المريخ .. ذو اللون الأحمر .. وقال بجدّية :

ــ هذا هو عالمكم .. ستعيشون فيه وتتكاثرون .. إنكم حقًا أبناء كوكب الأرض .. ولكنكم الآن .. أول سكان المريخ .. وإذا نجحت هذه التجربة .. فسوف يتم استيطان كل كواكب المنظومة الشمسية .. أيًا كانت الظروف المناخية بها ..

ــ ٣ ــ

كنّا نعرف الكثير .. مما حدثنا به ..

ولكننا لم نقاطعه مطلقًا ..

ومرّت السنين .. وبلغنا العشرين من عمرنا ..

سمحوا لنا بالخروج لفترات طويلة إلى سطح المريخ ..

وطلبوا منّا اختيار شركاء حياتنا من الجنس الآخر ..

غدًا .. يوم الحرية لنا ..

سنكون غدًا ــ ولأول مرّة ــ أول سكان حقيقيين لكوكب المريخ ..

البعض منّا قد نفد صبره .. ولكننا سنضبط النفس ..

ولن نتسرع فى تنفيذ خطتنا ..

فقد صبرنا عشر سنين .. ولن يضيرنا يوم آخر ..

غدًا .. عند وقت معين .. وبالتحديد عند غروب الشمس ..

سننقض على الخبراء والأطباء والممرضين .. وجميع سكان كوكب الأرض الموجودين على سطح المريخ ..

أجل .. سنقتلهم جميعًا ..

وسيكون الأمر غاية فى السهولة .. إذ أنهم لا يرتابون فى أى شىء ..

إنهم لم يدركوا أن عقولنا أيضًا قد تغيّرت منذ زمن بعيد ..

وإننا نكرههم ونحقد عليهم ..

أجل .. نكره هذه المخلوقات الضعيفة .. ذات الصدر الضيّق .. والجلد الأملس .. والصوت الناعم .. المرتدين زىّ الفضاء اللامع .. والخوذات الشفافة الكريهة ..

سنقتلهم جميعًا .. ثم نحطّم كافة البيوت الزجاجية .. حتى لا يبقى فيهم أى كائن حىّ ..

إننا لانريد أيًا منهم فوق كوكبنا .. عالمنا ..

كما لا نرغب فى وجود أى صلة .. بذلك الكوكب الخافت الزُرقة الذى يطلق عليه .. كوكب الأرض ..

المريخ وطننا ..ولن نسمح للغرباء بالهبوط فوقه .. أيًا كان موطنهم ..

ــ ٤ ــ

اقتربت فى حذر من بيت رئيس البعثة الأرضية .. المهندس (مراد شوكت) .. وبيدى صخرة حمراء مدبّبة أحضرتها من قرب فُوّهة بركان (نيوتن) .. واستخدمها كسلاح ..

فقد كنت مكلفًا باعتبارى زعيم القبيلة .. بقتل رئيس البعثة الأرضية ..

وكان هذا إيذانا ببدء الثورة .. ضد سكان الأرض ..

وصلت إلى بيته الزجاجى المكيف بالأكسوجين ..

فوجئت به يركع بجانب فراش ابنته الصغيرة (حنان) .. المسجاة .. ووجهها الشاحب .. وعينيها السوداوين المحملقتين فى لا شىء .. تنبئ أنها مريضة ..

وبمجرَّد أن لمحنى .. ارتدى زِىّ الفضاء .. وهرع إلىَّ ..

قال فى لهفة .. ونبْرة حزينة :

ــ إن الله قد أرسلك إلى هنا .. فجهاز الاتصال الخاص بى لا يعمل .. أرجوك استدعى طبيبًا .. فابنتى تحتضر ولا أستطيع تركها بمفردها ..

وجدتنى دون تفكير ألقى بقطعة الصخر ..

سارعت إلى مكان البعثة الطبية .. وأشرت إلى أحد الأطباء إلى الخروج لمخاطبتى .. وأخبرته بمرض ابنة رئيس البعثة ..

وهرع معى إليها ..

انتظرت خارجًا .. أراقب بقلق الطبيب وهو يكشف على الطفلة الرقيقة الممدَّدة بلا حِراك ..

بعد دقائق .. وجدت الطبيب ينهض ببطء .. وعيناه مُفْعَمتان بالأسى ..

ثم أشار إلى المهندس (مراد) .. بأنه ليس ثمَّة أمل ..

وانهار رئيس البعثة الأرضية .. يبكى ..

وجدتنى ــ رغمًا عنِّى ــ أحاول أن أمنع الدموع التى ملأت وجهى .. فقد كان المشهد مؤلمًا .. ولم أتخيَّل أن يكون الحزن بهذا الشكل ..

بل الألم .. الذى يمزِّق الآن نياط قلبى ..

كانت (حنان) .. ابنة رئيس البعثة .. هى الإنسانة الوحيدة التى كنت أحبها دون باقى البشر ..

لازلت أتذكَّرها .. وهى تلعب معى فوق رمال المريخ الحمراء .. كانت ترتدى زِىّ الفضاء الصغير الذى يناسب جسمها الدقيق ..

كيف أودِّع هذه الرِّقة .. والوداعة ؟

هل حقًا ستخبو هذه العيون السوداء الرائعة .. وتموت ؟

ماأبشع الموت !!

— ٥ —

عِدت حزينًا إلى كهف قبيلتى ..
وما زالت الدموع تحجب الرؤية عن عينى .. والحزن يغمرنى ..
وإحساس جديد غريب تمامًا .. ينتابنى ..
اجتمعت بأفراد القبيلة جميعًا ..
وطلبت منهم عدم تنفيذ الخطَّة الدموية لقتل سكان الأرض ..
وبدأت أحدثهم بحماس عن السلام .. فوق كوكب المريخ ..
وفى ذهنى دائمًا .. خيال لا يفارقنى ..
طفلة رقيقة .. شعرها هالة ذهبية حول وجهها الناصع .. ذات عينين سوداوين ..
تبدو كوشاح نور فى سماء صافية ..
إنها تستعد الآن للقاء الشموع .. فى فضاء أبدى ..

* * *

رقم الإيداع : ٤٠٦١

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة - تليفون : ٨٢٦٢٨٠

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

★★★★

الإنسان الآلى القاتل

هذه مجموعة جديدة .. من قصص الخيال العلمى المثيرة .. تطوف بك فى عمق الكون .. وفى المستقبل ..

ان مجالات الخيال العلمى لا تقل إتساعا عن الكون نفسه .. كما أنها طويلة .. طول الزمن ..

وتزود قراءها بنوع من الإثارة والشعور بالعجب .. والغرابة .. والتسلية والإبهار .. والمتعة فى آن معا ..

فالخيال العلمى يوضح الجمال الحقيقى .. والعظمة الصادقة للكون من حولنا ..

سواء أكانت مجرة تزخر ببلايين النجوم .. أو نقطة ماء تكتظ بالحياة الدقيقة الخفية ..

المؤلف

رءوف وصفى

فى هذا الكتاب	الصفحة
• الإنسان الآلى القاتل	٥
• المتألمون فى صمت	٢١
• الثقوب السوداء	٣٥
• أيها الموت .. ترفق	٥١
• البحث بعيدا عن المدينة ...	٦٣
• الوباء الآلى	٧٥
• الحب فى القرن الحادى والعشرين	٩٥
• وتبقى النجوم خالدة	١٠٥
• المارد المعدنى	١١١
• مغامرة فوق كوكب المشترى	١٢١
• المادة المضادة	١٤١
• الموت فوق كوكب مجهول	١٥١
• التجربة	١٥٩

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ ش ٧٨ المنطقة السابعة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

الثمن فى مصر
١٢٥
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم